الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

بنيـــة الخـــطـــــاب المـأســـــــــاوي في رواية"ساق البامبو" لـــ: سعود السنعوسي

مذكرة: مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالب (ة):

✓نسريـــــن شرك

إشراف الدكتور:

* علـــــــي بخـــــــوش

الرقم	الأستاذ(ة)	الرتبة	الصفة
01	نعيمة فرطاس	دكتورة	رئيسا
02	علي بخوش	دكتور	مشرفا
03	جميلة قرين	أستاذة	مناقشا

الـــــــــــعام الجامـــــــــــــعي:

1437هـــ/1438هـــ

2016م/ 2017م

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

مقدّمة

مما هو حري بالذكر؛ أن هذا الكائن البشري المسكين، قد ولد مع المأساة والألم والمعاناة، بداية خلق الله سبحانه وتعالى سيدنا آدم وعلّمه الأسماء كلها، وأمر الملائكة جميعا السجود له، فرضخوا لأمره عزّوجلّ، إلاّ إبليس أبى واستكبر؛ أن يسجد لهذا المخلوق الّذي من طين، فعاقبه ربّ الجلالة لعدم إذعانه للأمر، ومن هنا بدأت مأساة البشرية جميعا، حين أقسم إبليس أنّه سيغوي بني البشر كافة، ويجعلهم يكبون في النّار على وجوههم، ويعاقبون كما سيعاقب هو، ثمّ تبدأ مأساة آدم؛ عندما يجد نفسه في الجنّة وحيدا شريدا، لا أنيس يؤنس وحدته؛ فيصيبه ذلك الإحساس بالوحشة والأسى، فخلق الله له حوّاء، فكانت مؤنسة وحدته، فيعيشان في رغد من العيش و نعيم من السّعادة، وهنا يأتي إبليس لينفّذ قسمه، وينغّص عليها عيشهما، فأغراهما بالأكل من الشّجرة الّتي حذرهما الله من الاقتراب منها، فينزلهما الله من جنّة الفردوس إلى الأرض، عقابا لهما مما خلق لديهما أسى عظيم وألم ما بعده ألم، وقد ظلا يتوقان دوما، وأبدا،للعودة إلى الجنّة وهنا تتقاطع رواية بطل ساق البامبو عيسى، الّذي كان يظنّ نفسه خرج من الفردوس المفقود عند ترحيل والده له مع أمّه فور ولادته إلى الفلبين، الّذي يعتبره الجحيم، و قد كان لدراستنا هذه دوافع منها: رغبة منّا في الولوج إلى عالم المأساويّة.

الصّخب والضّجةاللّذان دارا حول رواية ساق البامبو حتّى قيل عن بطل الرّواية أنّه شخصيّة حقيقية عاش مأساة فعليّة.

ورغبة منّا أيضافي استكمال متطلّبات مذكّرة الماستر و كانت إشكالية بحثنا كالآتي:

ما هو المأساوي؟ ومع من تجلّى في الرّواية على وجه الخصوص؟ وماهي البواعث الّتي خلقت المأساوية في الرّواية موضوع البحث؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا خطّة كالآتي: مقدّمة ثمّ مدخل حاولنا من خلاله توضيح معاني بعض المفردات:كالمأساة، والمأساوي، المصطلحات الدّرامية: المفارقة

الموقف المأساوي والتّطهير، المأساوي والحامل الفلسفيّ: القدر، المأساوي، الشّخصية البطل الرّوائي، البطل المأساوي ثم قمنا بدراسة تطبيقية تضمنت الفصل الأول: البطل المأساوي خوسيه وقد تطرقنا إلى الجانب المأساوي في حياته والذي تمثّل في:

الاسم، الدّين، الوطن والأم، وما تعايش معه البطل من حزن وألم، أمّا في الفصل الثّاني مررنا بالـزّمن الّذي عانى فيه ويلات الألم والحسرة، وعالجنا مسرح مأساة وشجون عيسى، الّتي جعلته يكابد الحسرة والألم ويعض أصابع النـدم، إضافة إلى البواعث المأساويّة في حياة البطل، ثم أضفنا ملحقا يتضمن ملخص الرواية والسيرة الذّاتية للرّوائي سعود السنعوسي ونبذة عن نبتة البامبو.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا المنهج البنيوي ويتضح ذلك من خلال دراستنا لمأساة البطل خلال زمن معين في مكان ما وأحداث خلقت له الأسى في كامل حياته وقد استندنا إلى بعض المراجع:

- بنية النّص السّردي من منظور النقد الأدبي لحميد لحمداني.

- بنية الشكل الرّوائي (الفضاء – الزمان – الشّخصية) حسن بحراوي.

- فن الشعر أرسطو.

- تحليل النص السردي محمد بوعزة.

- مجلة المأساوي في الأدب العالمي: مجلة الآداب واللغة العربية جامعة الجزائر.

ومن الصعوبات الّتي واجهتنا: قلة الدراسات في رواية ساق البامبو باعتبارها رواية حديثة الدراسة، وكذا كبر حجم الرواية وتشعب الموضوع الّذي لم يتزامن والوقت المخصص لإعداده.

وختامنا هو حمدا لله واحدا فردا صمدا على كل شيء، وكامل الشكر والتقدير للمشرف الدكتور المحترم علي بخوش الذي كان دوما يشد من أزري، ويثبت عزيمتي، كلّما فشلت وتعثرت بي السبل والمطبّات.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للبروفيسور بحري محمد الأمين ،على كلّ ماقدّمه لي من عون بكل المراجع التي خدمت موضوعي.

المدخل: في ماهية المأساوي والمأساة

1- مفهـوم المـأساة.

2- أصـل المـأسـاة.

3- مفهوم المأساوي.

4- المصطلحات الدّرامية المساعدة في تأسيس كيان المأساوي:

أ- المـــفـــارقـــــة.

ب- الموقف المأساوي.

ج- الـــتّـــطـــهـــيـــر.

5- المأسـاوي والحامـــل الفلسفـــي.

أ- القـــــــدر

ب- المأســـــاوي

6- الشّـخصيـــة المأســـاويـــة:

أ- الشّخصية.

ب- البطل الرّوائي.

ج- البطل المأساوي.

1- مفهوم المأساة:

لنعي مفهوم المأساة جيّدا لابدّ من الغوص فيها لسبر أغوار معانيها، لذلك عدنا إلى أصلها في بعض المعاجم، ومما جاء في معجم لسان العرب.

أ- **لغة:** "(يأس): واليأس: القنوط، وقيل اليأس نقيض الرجاء"[1].

وتعني فقدان الأمل والتخلي عن حلم ما، والاستسلام، والابتعاد عن الهدف المنشود.

أمّا في القاموس المحيط فهي: "أسا: الجرح ... والأسا: الحزن، وهو أسوان: حزين، آسيت عليه، حزنت"[2].

ومما يبدو فإن هذا الحزن يأتي جرّاء جرح وألم من مصاب جلل.

كذلك نجد معناها في الصّحاح كالتالي: "الأسى هو الحزن، أسى؛ أي حزن؛ وقد آسيت لفلان أي: حزنت له"[3].

ومما سبق تبيّن لنا أنّ مفهوم المأساة كلّه يصب في نهر واحد هو نهر الحزن والألم والجراح، والّذي كان سببه طبعا اليأس والقنوط وفقدان الأمل.

---

(1) لسان العرب: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، دار صادر، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ج6 مادة (يأس)، ص256.

(2) القاموس المحيط: الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب تح أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر مج 1، 2008، مادة (أسو) و (أسي)، ص56.

(3) الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، تح محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، مصر، مج 1، 2009، مادة (أسى)، ص40.

ويعود فن التراجيديا إلى اليونانيين الّذين أحيوا هذا الفن، تكريما للإله ديونيسيوس إله الخمر والمجون، وحزناً عليه في آن واحد، وذلك للمصير المأساوي الّذي آل إليه والتراجيديا أو المأساة Tragedy: تعني عموما الكارثة أو المصيبة أو الحادث المفجع أما أدبيا فدلالتها السطحية فتحوم حول كل موضوع معتم كئيب يُزجّ به نحو خاتمة مروعة[1].

وقد لمسنا جليا أنّها في مفهومها الشامل، تعني النوائب، والمخاطر، والمكاره، والصعاب التي تحفّ طريق الإنسان.

وللتراجيديا مفهومها الخاص عند أرسطو حيث يقول عنها: "محاكاة لفعل جاد تام، في ذاته له طول معين، في لغة ممتعة، لأنها مشفوعة بكل نوع من أنواع التزيين الفني. كل نوع منها يمكن أن يرد على انفراد في أجزاء المسرحية، وتتم هذه المحاكاة في شكل درامي لا في شكل سردي وبأحداث تثير الشفقة والخوف، وبذلك يحدث التطهير من مثل هذين الانفعالين"[2].

وهنا يقصد أرسطو أنّ المأساة تقليد لقصص حقيقية موجعة، و مفجعة، لابدّ وأن تؤدى في طابع درامي مؤثّر، مصاحب لكل الوسائل والأدوات التّي تعين على التأثّير في هذا المتفرّج ، والعمل على عدم إحساسه بالملل والسأم، وذلك بتوفير كلّ أسباب المتعة واللذة، من موسيقى وغناء وإضاءة تجعله يعيش قصة البطل كأنها قصته تماما، مما يجعله يتعاطف مع هذا البطل، جرّاء ذلك المصير المأساوي الّذي آل إليه، ويفزع أيضا من هكذا نهاية، وفي آخر الأمر يصل إلى التّطهير، ثم الراحة بعد التحرر

---

(1) (ينظر): معجم المصطلحات الأدبية: ابراهيم فتحي، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، صفاقس، تونس، 1986، ص80.

(2) فن الشعر أرسطو، ترجمة وتعليق ابراهيم حماده، دار هلا للنشر والتوزيع1، القاهرة، مصر، 2014، ص111.

من كـل تلك الانفعالات الزائدة، التي كان يعانيها في معرفته أنّه لم يلحقه الأذى الّذي آل إليه ذلك المخلوق المأساوي.

أما مفهوم المأساة عند جان راسين: "Jean Racine"1966/1639 فهي كالآتي:

"ليس من الضرورة في شيء أن يكون ثمة دم وقتل في المأساة، إذ يكفي أن يكون فيها الفعل عظيما والأشخاص بطوليين والمشاعر مستثارة، وأن يكون تأثيرها في ذلك الحزن الجليل الّذي هو جوهر المتعة في المأساة"[1].

من الأجدر بنا، القول: أن جان راسين لا يشترط لنشوء المأساة سفكا لدماء أو أخذا لثأر أو صراعا لملك، بل المأساة تخلق داخلنا إثر ظلم عظيم أو خيانة...الخحدثت لأشخاص عظماء لايستحقون ما حلّ بهم من فعل شنيع، فتهز مشاعرنا من أثر هذا الفعل، يخلق ذلك الألم والحزن والأسى فهذا هومغزى ومراد لذة المأساة الفعلي عند جان راسين، وكذلك هو جوهر موضوعنا في الرواية محل البحث.

---

(1) موسوعة المصطلح النقدي: (تر) عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1983، ص20.

2-أصـــل المأســـــاة: يمكن أن يكون النبع الحقيقي لها:

"احتفالات ديونيسيوس (طقوس عربيدة): Dionysia احتفالات صاخبة كانت تنعقد دوريا تمجيدا لديونيسيوس وهو في الميثولوجيا الكلاسيكية إله الخمر، والدراما، والخصب وباخوس هو الاسم اللاتيني لذلك الإله،وفي تلك الطقوس العربيدة؛ ولدت الدراما اليونانية بشكليها: التراجيديا والكوميديا"[1].

كانت هذه الاحتفالات تقام كل عام، ويتم فيها كل أنواع الرقص والإنشاد والغناء، ولكن بعد موت إله الخمر باخوس، بطريقة مفجعة بقيت تقام ولكن بالبكاء عليه وعلى المصير الّذي آل إليه بعد أن قطّع إربا إربا. من طرف أعوان زوجة أبيه، ومن ذلك نشأ في فن الدراما ما يعرف: بالكوميديا والتراجيديا.

"وتتركب كلمة تراجيديا: Tragodia من لفظتين، Tragos بمعنى (جدي – أوماعز) ومن Oide (بمعنى نشيد – أو أغنية)"[2]. ويجدر بنا أن نقول:أنها أخذت اسمها من الثياب التي كانوا يرتدونها أثناء الاحتفال، من أقنعة وجلود الماعز، كما كان يقدم كجائزة جدي، مكافأة في آخر مسابقاتهم واحتفالاتهم.

وقد أتى من أحيا تلك الطقوس، بعدما قاربت على الاندثار والتلاشي وقد كان: "بدأ تاريخ المأساة الأتيكية في ربيع عام 535 ق. م حينما ظهر ثيسيس مع أفراد فرقته من ال (تراجودى) أي –مغنيو الماعز– وقدّم دراما بدائيّة في المهرجان العظيم الّذي أقيم احتفالا بـ ديونوسيوس"[3].

---

(1) معجم المصطلحات الأدبية، ابراهيم فتحي، ص8.

(2) فن الشعر: أرسطو، ص69.

(3) الأدب اليوناني القديم: س. م. باورا (تر) محمد علي زيد وأحمد سلامة محمد مراجعة: محمد صقر خفاجه، دار القومية للطباعة والنشر، (دط)، القاهرة، مصر، (دت)، ص49.

وقد اعتبرت بدايتها من ذلك الوقت، الذي اعتنى بها ثيسيس، وأخرجها إلى الملإ حينما أحيا طقوس الاله ديونيسيوس مع فرقته مرتدين زيّه.

ثم بعد ذلك: "أصبحت المأساة فناّ أدبيا أساسيافي أثينا خلال القرن الخامس ق. م"[1].

تطورت المأساة و أصبحت فنا أساسيا في اليونان، نظرا لما تطرقت إليه من مواضيع مأساوية، تمسّ حياة الإنسان وموته وتعذيبه دون أي ذنب ارتكبه.

ومن أشهر وأعظم كتاب المأساة نوردهم كالآتي:

"أيسخولوس 'Eiskhoulous'، سوفوكليس 'Sophokles'، يوريبيدس'Euripides'"[2].

"وقد تحقّق ظهور التراجيديا مرتين في تاريخ الثقافة الغربية الأولى في القرن الخامس ق.م مع التراجيديا الاغريقية، والثّانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر في انجلترا أولا، ثم في فرنسا واسبانيا وعاشت في المرّة الأوّلى قرنا من الزّمن ولم يتجاوز عمرها في المرة الثّانية مع العصر الإليزابيثي، ستين سنة أمّا في فرنسا فقد تزامن ظهورها مع ما يسمّى في التاريخ الفرنسي بالقرن العظيم"[3].

ولكون فن التراجيديا فن مس الإنسانيّة جمعاء،نجده قد تطور وانتشر انتشارا عظيما إلى أن جاب العديد من دول العالم.

---

(1) الأدب اليوناني القديم: س. م. باورا (تر) محمد علي زيد وأحمد سلامة محمد مراجعة: محمد صقر خفاجه، ص49.

(2) المرجع نفسه، ص50، ص59،ص70.

(3)المأساة والرؤية المأساوية في المسرح العربي الحديث: عبد الواحد ابن ياسر، منشورات ضفاف، دار الأمان، الرباط، المغرب + منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2013، ص17.

3- مفهوم المـــأســـــــاوي: Le Tragique:

باعتبار فن المأساة شكل من أشكال الدراما فالمأساو يصفة من ذاك الشكل: "هو ما انبثق عن المأساة، باعتبارها فنّا خاصا من الفنون المسرحية، وقد بعث إلى الوجود في القرن التاسع عشر من الرّوايات المأساوية أو حتّى من الشعر المأساوي (...)، وهو ينهض بالأساس من الفن المسرحي"[1].

كانت المأساة هي الدافع لظهور المأساويّ إلى الوجود، وتربعه على عرش المسرح خصوصا وعلى الأدب عموما.

"وتاريخيا فكرة المأساة سابقة على مصطلح (المأساوي) فإذا كانت المأساة تتأرخ بالقرن الخامس قبل الميلاد فإن كلمة المأساوي قد بعثت أول مرة في فرنسا سنة 1546 عند فرانسوا رابليه" 'Francois Rabelais'[2].

وقد كان ظهور فن المأساة عند اليونان منذ عهد بعيدجدا، ولكن ظهور المأساوي قد برز إلى الوجود بداية على يد فرانسوا رابليه منذ وقت قريب.

---

(1) المأساوي في الأدب العالمي (المصطلح –الحامل – الأشكال): محمد الأمين بحري مجلة الآداب واللغات، جامعة الجزائر، العدد 4، 2010، ص17.

(2) المرجع نفسه،ص17.

4-المصطلحات الدرامية المساعدة في تأسيس كيان المأساوي: منها:

المفارقة وهي التغير من حال إلى حال آخر أما:

أ-**المفـارقـة عنـد أرسطـو:Le Paradoxe**: أي "انقلاب بواسطة حدث مغير للأوضاع (La Collision) مما يولد مفارقة ضدّية Une Paradoxe"[1].

قد يحدث هذا الانقلاب نتيجة لأمر ما، وقد يكون هذا الأمر نتيجةلاكتشاف سرّ دفين وفضحه، هو الذي سيقلب مجرى كل الأحداث.

والمفارقة أو انقلاب الحالحسب بعض الترجمات: "هو التغير الذي ينقل حالة الأشياء (...) إلى نقيضها (...) ومثل ذلك في أويديبوس: هنا نقيض الأشياء التي يقدمها الرسول، الّذي يكون وصوله ليفرح أويديبوس ويزيل مخاوفه بخصوص أمه فيكتشف بذلك سرّ مولده"[2].

والتّغير الّذي ينقل الأشياء إلى عكسها، يكون نتيجة حدث عظيم، مثلما حدث مع أوديب عندما اكتشف حقيقته المؤلمة. وتوجد في المفارقـة:

***المفارقة في حدّ المأساة:**

وهي البداية والأصل في الحدث الدرامي (...) وذلك ببث حدث مغير للأوضاع السائدة قبله، أيّ تحول في المصير من العادي إلى الدرامي ومن السعادة إلى الشّقاء وهو ما يصور لنا موقفا مأساويّا ناتجا عن تلك المفارقة الدّرامية التي تحرك صراعا ينتهي حتما إلى انقلاب ما يغير مجرى الأحداث[3].

---

(1) المأساوي في الأدب العالمي (المصطلح – الحامل – الأشكال): محمد الأمين بحري، ص8.

(2) موسوعة المصطلح النقدي: (تر): عبد الواحد لؤلؤة، ص118.

(3) (ينظر)المأساوي في الأدب العالمي (المصطلح – الحامل – الأشكال): محمد الأمين بحري، ص9.

لتكون هناك مأساة لابد من مفارقة، ولحدوث هذه الأخيرة؛ لابد من حدث يزلزل كيان البطل، فتتجلى تلك المفارقة التي جسدت الحياة الثّانية؛ حياة التعب والشّقاء، بعد زوال حياة الراحة والهناء.

*** المفارقة في الخطاب الدرامي:**

وهي "انقلاب الحال يشير إلى ما يحدث عندما (يكتشف المرء أن أفعاله... تؤدي إلى نتائج هي على النقيض المباشر مما قصد الفاعل أو توقع) وهذا بالطبع يناسب مثال أويديبوس الّذي ساقه أرسطو"[1].

هنا اكتشف أوديب المسكين أنّه رغم رحيله عن الوالدين اللذّين ربيانه صغيرا، وهجرانه لهما،حتّى يتفادى تحقيق تلك النبوءة المشؤومة بقتله لأبيه وزواجه من أمه فيجد نفسه واقعا في نفس المصير الّذي ولّى منه هاربا.

وللوصول للمفارقة لابد من مرور البطل على:

1- الجهل بالحقيقة.

2- استكشاف البطل لهذه الحقيقة، وإماطته لحجاب الجهل الّذي كان يلفه.

3- ثم يحدث الانقلاب أو المفارقة[2].

* يعني يكون: جهلا ⟸ ستكشاف ⟸ انقلاب أو مفارقة.

---

(1) موسوعة المصطلح النقدي: (تر): عبد الواحد لؤلؤة، ص118.

(2)(ينظر) المأساوي في الأدب العالمي (المصطلح – الحامل – الأشكال): محمد الأمين بحري، ص10.

ب- الموقف المأساوي: La Situation Tragique

يعتبر مصطلح الموقف المأساوي مصطلحا جديدا على فن الدراما، وهذا يتضح هنا:"لقد غدا مصطلح الموقف (La Situation) من المصطلحات التي دخلت النقد الأدبي والروائي خصوصا عن طريق الدراما"[1].

لذلك نعتبره مصطلحا دخيلا عن ميدان الأدب، ويظهر ذلك جليا في قول محمد غنيمي هلال: "وقد أصبح الموقف في معناه الحيوي العام من الاصطلاحات الفلسفية في العصر الحديث عن طريق الفلسفات الوجودية؛ ومعناه علاقة الكائن الحي ببيئته وبالآخرين، في وقت ومكان محددين، وفي هذه العلاقة يكشف الإنسان عمّا يحيط به من أشياء، ومخلوقات، بوصفها وسائل أو عوائق في سبيل حريته، ولا سبيل إلى إيجاد موقف، إلاّ بمشروع يقوم به الفرد، مرتبطا بما يحيط به من عوامل، وهذه العوامل مهما كانت درجة تعويقها؛ هي التي تحدد مشروعه وتكشف عن حريته"[2].

ولكي يكون للإنسان موقف خاص به ،لابدّ من صناعة كيانه بنفسه وتطوير تلك الذات، باتّخاذ مشروع خاص به ،وتحديد هدف معين يسير إليه. "فالموقف إذن يتأسّس على العوائق ومقاومتها وهو الفعل الذي يحدد دور البطل ومساره، ونسبة تقدمه أو تقهقره في إنجاز دوره نجاحا أو خيبة"[3]. لا يظهر موقف الإنسان إلى العلن جليا، إلاّ إذا وقع إزاء مشاكل ومصاعب تجعله يبرز وجوده بتحديه إيّاها وتجاوزها، وبناءا على هذا دوما: "يكون الإنسان في تغيّر مستمر تبعا لمشروعه وما يبذله من جهد فيه. وهناك يتحقّق وجود

---

(1) المأساوي في الأدب العالمي (المصطلح – الحامل – الأشكال): محمد الأمين بحري، ص10.

(2) الموقف الأدبي: محمد غنيمي هلال، دار العودة، (دط)، بيروت، لبنان، 1977، ص119، ص120.

(3) المأساوي في الأدب العالمي (المصطلح – الحامل – الأشكال): محمد الأمين بحري،ص10

المرءعن طريق العمل والصّراع، بوجوده في حالة ما وتجاوزه لهذه الحالة في الوقت ذاته فما الوجود الإنساني الشرّعي سوى وجود في موقف"[1].

نستنتج من هذا بالجهد والعمل فقط يستطيع الإنسان إبراز وجوده، وإبداء رأيه، والثبات له على موقف معين، وهذا تماما مثلما فعل الإنسان في الزمن الأوّل.

"وهذا ما خلق موقفا محاكاتيا لمصير الإنسان ودوره في الوجود، وما يترتب على هذا الوجود من صراعات تعكّر صفوه، ومعوّقات تقف في وجه الإنسان، وتصنع مأساته مانحة في كل ذلك معنى لحياته وقيمة لوجوده وتصورا لمصيره"[2].

قد حاول الإنسان منذ القديم، بكل ما أوتي من قوّة، وحكمة،التّصدي لكلّ المشكلات والحواجز، التّي تقف في طريقه والتّي كانت سببا فعلا في مأساته، فاتّخذ له من العصا سلاحا ،ومن الحجر نارا، ومن الكهف مستقرّا ودارا، ومن الصّنم إلها ،حتّى يجيب عن كلّ تساؤلاته المأساوية المحيّرة، والمؤرّقة له، منذ وجوده على هذه البسيطة.

---

(1) المأساوي في الأدب العالمي (المصطلح – الحامل – الأشكال): محمد الأمين بحري، ص10.

(2) المرجع نفسه ص11 .

ج- الـتّـطـهـيـر: La Catharsis – La Purification

نستطيع القول أنّه النّتيجة الحتميّة لما تفرزه المأساة من انفعالي الخوف والشّفقة، حيث يقول أرسطو بضمّه مصطلح التراجيديا مع مصطلح التّطهير، باعتبارهما ثنائيين متلازمين، وذلك إن وجدت التراجيديا لابد من وجود التّطهير: "والتراجيديا إذن محاكاة لفعل جاد تام في ذاته له طول معيّن في لغة ممتعة (...) وتتمّ في شكل درامي، لا في شكل سردي، وبأحداث تثير الشفقة والخوف وبذلك يحدث التّطهير من هذين الانفعالين"[1].

فحري بنا القول أنّ التّطهير هو ذلك الشّعور الذّي يصل إليه القارئ ،نتيجة الحالة المأساوية التّي آل إليها ذلك البطل، وهو الشّعور بالسّكينة والطّمأنينة التّي وصل إليها المتّلقي بعد الإحساس بالشّفقة والفزع، أثناء تعاطفه وتتبّعه مسيرة حياة البطل المأساويّة للنّهاية.

ويرى أرسطو: "أنّ إثارة هاتين العاطفتين في نفسية المشاهد تخلصه منهما ومن ثمّ يحدث التّطهير الذّي يجعل الشّخص أكثر صحية وأقوى انفعالية"[2].

يجزم أرسطو هنا قائلا: أنّ المشاهد عند تخلّصه وتحرّره من شحنة الانفعالات الزّائدة التّي تثقل كاهله يحدث إثر ذلك التّطهير، وبهذا يصبح الإنسان قوي الجسد متين النّفس مرتاح البال.

---

(1) فن الشعر: أرسطو (تر): إبراهيم حمادة، ص111.

(2) المصدر نفسه، ص119.

كما نلمس جليّا أنّ التّطهير هو الوظيفة الأساسيّة للتراجيديا ويظهر ذلك في: "وظيفتها إحداث التّطهير من انفعالي الخوف والشّفقة وهذه الوظيفة بالذّات من صميم طبيعة التراجيديا"[1].

من هذا نفهم أنّ للتّطهير وظيفة مهمّة في التراجيديا.

كما "يحدث التّطهير في نفس مشاهد المسرحية المأساوية عندما يتمتّع برؤية الآخرين يتعذّبون أمامه. وتتضاعف هذه المتعة. حين يتحقّق ممّا يراه فوق خشبة المسرح... ما هو إلاّ تمثيل في تمثيل وليس الحياة الواقعية نفسها"[2].

وبهذا يرتاح المتفرّج ويخرج سعيدا، لأنّه لم يشهد ما شهده ذلك البطل، من عذاب مقدّر عليه ومحفوظا في كتابه سلفا، منذ أن خلق في هذا الكون المشؤوم.

---

(1) فن الشعر: أرسطو ، ص34.

(2) المصدر نفسه ، ص119.

5-المأساوي والحامل الفلسفي:

إذا ولجنا باب الحديث عن مصطلح المأساوي فإنّنا نجد العديد من المصطلحات التّي تحتويه ولهذا فإنّ: "مصطلح المأساوي قضية شكليّة قد نعبّر عنها فندرسها وقد يتعذّر العثور عليها فنبحث عن غيرها تحت مصطلح آخر"[1].

ولكن مع كلّما سبق فإنّ هذا المأساوي لا يستقيم له عود ولا يتحدّد له مضمون إلاّ إذا صاحبه ما يسمّى: "الحامل المأساوي: وهو الجسر الّذي يقودنا إلى أيّ قضية يتحقّق فيها وجه من وجوه المأساة، أي هو الفضاء الذي تتبأر فيه مقومات القضية فلا تحمل إلاّ عليه ولا تتأكّد إلاّ بسبب مباشر منه"[2]. ونحن في هذا الصدد: "نسعى إلى القبض على المقود الّذي يسوق البطل ومعهُ الموضوع بأسره، إلى مصيره المأساوي"[3].

ولا يسعنا في هذا المجال إلاّ القول :أنّ ما يقود البطل إلى مصير مأساوي قـهـريّ، عـامـل محتّم، ومقدّر، في كتابه ومنذ أن وجد هذا المخلوق المغلوب على أمره على ظهر الأرض ،لا سلطة له فيه ولا يد له، ولا لأيّ كائن آخر:

أ- الــقـــــدر: Ledestin:

يمكن القول إنّ البطل المأساوي: "سينجرّ إلى شيء خبيءفي الطّبيعة الإنسانيّة اسمه القدر المأساوي أو بالأحرى مركب الشّقاء الّذي يسري في عروقه حيث حلّ، بغض النّظـر عـن ملابسات الموقـف الّذي يوهمه بأنّه سبب وحيد في ما يقع له، بينما كان ذلك مسطورا في طيّات قدره سلفا"[4].

---

(1) المأساوي في الأدب العالمي (المصطلح – الحامل – الأشكال): محمد الأمين بحري، ص15.

(2) المرجع نفسه، ص.15

(3) المرجع نفسه، ص15.

(4) (ينظر):المرجع نفسه، ص16.

إذا لقاء قدر معتّم لبطل مأساوي مهزوم: "يكون المصير المشؤوم ضريبة يدفعها الإنسان لقاء رغبته في الوجود لأنّ هناكقوى خفية توجّه حركته أطلق عليها قديما قوى الشّر الكامنة في الطّبيعة ونصطلح عليه اليوم بـ القدر"[1].

مصير مشؤوم يلاقيه هذا البطل، دون أيّ ذنب اقترفه، ولكنّ جرّاء قدر مسطّر عليه منذ مجيئه إلى هذا الكون.

ب – الـــمأســـاوي:

هو ذلك الحامل الثاني فمثلا قد تسدي معروفا لأحدهم، بخروجه من مأزق كبير ثم يخرجك من حياته فجأة بقرار منه ودون سابق إنذار لك، المأساوي أيضا أن تصنع أو تختلق شيئا ما لمساعدتك وضمان استقرارك، فيكون هو سبب حزنك ودمارك، وأحيانا حتّى انتحارك، هذا ما: "كرّسه هيجل في مصطلحه الشهير: "L'alienation De L'individu" في القرن التّاسع عشر الّذي أقامه بسبب الوضع المرضي للفرد ابن المجتمع الرأسمالي، الّذي يستبشر خيرا بصناعة منتوج أو آلة يتوخّى فيها النّعمة والرّفاه، وإذا بها تحلّ محلّه، أو تتنكر له في السّوق وتعلو عليه شأنا وسعرا، أو تتسبب في تخريب نظامه الأخلاقيّ والاجتماعيّ فتقوّضه، فيفرّ منها فزعا شاعرا بذلك الاغتراب تجاه ما تصنع يداه من دمار للإنسان وهو الّذي كان يرى فيها الخير والأمان"[2].

نفهم ممّا ورد أنّه قد حصل تغير في المصطلح فقط، ولم يتغير المضمون وذلك من مصطلح المأساوي إلى مصطلح اغتراب الفرد، ولقد بقي المحتوى نفسه، معنى ذلك؛

---

(1) المأساوي في الأدب العالمي (المصطلح – الحامل – الأشكال): محمد الأمين بحري، ص16.

(2) المرجع نفسه، ص18.

إن صنع الفرد آلة واستغنى عنه ربّ العمل لأجلها ،سينتج عنه ذلك الأسى، والحزن والألم في ذات الفرد، وهذا هو المأساوي عينه. "ثم واكبه بعد ذلك سارتـر ليكمـل مـا بـدأه صاحب مصطـلح اغتراب الفرد "L'alienation De L'individu " بعد قرن من الزّمن حينـما رأى فيــها مصيـر البطـل الرّوائــيّ الّذي يؤسّس لمشروع لامع ومتفائل تبشـر بـه مقدّمة الرّواية، لكنّه ينتهي إلى خيبة يهدم فيها كلّما بناه كاشفا لنا عنأن ذلك المشـروع اللامع لم يكن سوى وهم خادع، وسرابلا أرضية له ليؤسّس لذلك الاعتراف الّذي كرّسه أوّل الأبطال المأساويين من'دونكيشوت'،'مدامبوفاري'،'جوليانسوريل' "[1].

من هذا تبيّن لنا أنّ البطل الرّوائيّ المسكين، يدخل بآلام وآمال كبيرة، يسعى لتحقيقها وينتهي بأوجاع وأحزان عظيمة،مخيبة لآماله مثلما حدث مع الأبطال المأساويين المذكورين.

(1) المأساوي في الأدب العالمي (المصطلح – الحامل – الأشكال): محمد الأمين بحري، ص18.

6-الشّخصية المأساوية:

أ- الشّخصية: Le Personnage

تعدّ الشّخصية في العمل الرّوائيّ: بمثابة حجر الملك في لعبة الشطرنج، وبمكانة الملك اليوناني عند شعبه، حيث إن مات الملك فني شعب بأكمله، وهذا ما يثبت أنها: "محور التّجربة الرّوائيّة"[1].

من هذا المنطلقيتبيّن لنا أنّ للشخصية دورا كبيرا في الرّواية، حيث لا يستطيع أيّ روائيّ بناء عمله دون الشّخصية، فإن تكلمنا عن الزّمن فلا بدّ وأن تكون حاضرة خلاله وإن وصفنا المكان فيستلزم أن تكون متواجدة فيه ،وإن سردنا الأحداث فحتما هي المتحكمة فيها وفي سيرها: "وذلك أنّه ليس هناك شخصية خارج الحدث كما أنّه ليس هناك حدث بمعزل عن الشّخصية"[2].

لامعنى لحدث من غير شخصية، ولا شخصية مستقلة بدون ذلك الحدث الذي يزيدها أهمية وبروزا.

وقد تعدّدت مفاهيمها من ناقد إلى آخر فمنهم من قال بأن: "الشّخصية عنصر مصنوع، مخترع، ككلّ عناصر الحكاية، فهي تتكوّن من مجموع الكلام الّذي يصفها ويصور أفعالها، وينقل أفكارها وأقوالها"[3].

يقصد هنا في مجمل حديثه أنّ الشّخصية هي ذلك الكلّ المركب، الّذي اختلقه الرّوائي

---

(1) تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم: محمد بوعزة: دار الأمان، الرباط + منشورات الاختلاف، الجزائر + الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص39.

(2) بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية): حسن بحراوي المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء – المغرب، 1990، ص 218.

(3) معجم مصطلحات نقد الرواية: لطيف زيتوني، دار النهار، ط1، لبنان، بيروت، 2002، ص114.

ببثه فيها مجموعة من الصّفات ،ومكوّنها الأساسي هو كلامها الّذي يعطينا عنها الفكرة المراد إيصالها.

وللشّخصية أيضا عند تودوروف 'Tzvetantodorov' ما يقول عنها: "أن مشكل الشّخصية هو قبل كلّ شيء، لسانيّ لأنّه لا يوجد خارج الكلمات ولأنّه أيضا كائن ورقيّ"[1].

ففي هذا المقام توصف الشّخصية بأنّها كائن لسانيّ ورقيّ، لأنّها تقول ما يقوّله إيّاها الكاتب على صفحات ورقية بحتة.

وقد اهتمّ كلّ من فلاديمير بروب "Vladimirprope" وغريماس "J.A.Grimas" بالأفعال التّي تقوم بها الشّخصية ف "حاولا معا تحديد هوية الشخصية في الحكي بشكل عام من خلال مجموع أفعالها، دون صرف النّظر عن العلاقة بينها وبين مجموع الشّخصيات الأخرى الّتي يحتوي عليها النّص"[2].

لم يُول أي من الشّخصيات الأخرى أيّ اهتمام يذكر، كان همّهما الوحيد والمشترك، الأفعال الّتي تقوم بها الشّخصية، لأنّ الأفعال هي أهم شيء في أيّ عمل روائيّ.

وللقارئ كذلك نظرته الخاصة حسب رأي فيليب هامون "Phlilipehamon" في الشخصية: "فقد رأى بأن الشخصية في الحكي هي تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص"[3].

---

(1) مفاهيم سردية: تزفيطانتودوروف، تر: عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2005، ص71.

(2) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي: حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1991، ص50.

(3) المرجع نفسه ، ص50.

نفهم من هذا أنّ القارئ عند اطّلاعه على النّص الرّوائي، فإنّه يضفي على تلك الشّخصية صفات أخرى ترضيه وتريح نفسه فأمّا رولان بارت "Roland Parthes" فالشخصية عنده "نتاج عمل تأليفي"[1].

ففي هذا المقام يراها رولان بارت أنّها خلاصة عمل مرّكب، من طرف الكاتب قد تكون مزيجا من شخصيات متعدّدة.

كما تعتبر الشّخصية في العمل الرّوائي: "بمثابة دليل (Signe) له وجهان أحدهما دال (Signifiant)، والآخر مدلول (Signifié)"[2].

بمثابة دليل أوإشارة على شيء ما أوشخص.

وقد تستطيع كذلك الشّخصية أن تقوم بجميع الأدوار كما تعتبر هي في حدّ ذاتها: "دور، والأدوار في الرّواية متعدّدة ومختلفة، فالشّخصية تكون رئيسيّة أو ثانويّة أو صورية، حاضرة أو غائبة، متطورة تتغير أوضاعها ومواقفها أو جامدة؛ متماسكة لا تناقض بين صفاتها وأفعالها مرسومة أو متوقعة أو ممتلئة، مستديرة، متعدّدة الأبعاد قادرة على أن تفاجئ الآخرين بسلوكها...الخ"[3] .

وممّا ورد فإنّ الشّخصية دور، والدور قد تتعدّد أشكاله، وتتنوّع صفاته.

---

(1) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني ، ص50.

(2) المرجع نفسه، ص51.

(3) معجم مصطلحات نقد الرواية: لطيف زيتوني، ص114.

ب- البـطــل الرّوائـــي:

إنّ البطل لهو محور الوجود الرّوائي لأنّه يمثّل بؤرة العمل السّرديّ، فهو مصدر جلب القارئ والمتفرّج معا، و سبب نجاح العمل سواء كان روائّيا، أو سنيمائيّا، وقد جاء في معجم لسان العرب: "البطل الشّجاع، بطل مجرّب، ورجل بطل بين البطالة والبطولة: شجاع تبطل جراحاته فلا يكترث لها ولا تبطل نجادته، وقيل إنّه سمّي بطلا لأنّه يبطل العظائم بسيفه فيبهربها، وقيل سمّي بطلا لأن الأشداء يبطلون عنده، وقيل: هو الّذي تبطل عنده دماء الأقران فلا يدرك عنده ثأر من قوم الأبطال وبطّال بين البَطالة والبطالة وقد بطل، بالضمة، يبطل بطولة وبطالة أي صار شجاعا وتبطّل"[1].

وسمّي بطلا لأنّه يقف في وجّه كلّ الصّعاب والمكاره، كما قد يكون هذا البطل الرّوائي هو تجسيد لشخص ما: "إنّ بطل الرّواية هو شخص Personne في الحدود نفسها الّتي يكون فـيها عـلامة على رؤيــة ما للشّـخص"[2].

كما يمكـن أن يكون البطل رمز لشـخصية حقيقية في المجتـمع،وإنّ البطل لنجده دائما يبحث عن شيء غير موجود في مجتمعه، أي عن القيم المفقودة كالأصالة والصّدق، ويتجلى هذا في القول التّالي: "وجود بطل روائي أسماه بالبطل الإشكالي الّذي يقوم ببحث منحط، أو شيطانيّ بتعبير لوكاتش، عن قيم أصيلة في عالم منحط"[3].

نفهم من هذا أنّه يبحث عن قيم وأخلاق نادرة، في مجتمع منافق،ومليء بالصّفات القبيحة، ممّـا يحسسه أنّه يبحث عن شيء غير مناسب ،في حين هو على صواب والكلّ

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج 11، (مادة بطل)، ص56 .

(2) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي،حميد لحمداني، ص50.

(3) بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية): حسن بحراوي، ص209.

على خطأ، لكن من الصعب إثبات ذلك في مجتمع مثل هذا المجتع، لبطل مثل هذا، ما يجعل بحثه غير مجد.

كما أننا نجد الكاتب يجعل من البطل الرّوائي قويّا لا يهمه أي شيء، ويمرّ بكل المخاطر، والمتاعب، ليس مثل الأشخاص الآخرين العاديين، و يظهر ذلك في القول التّالي: "أما بطل الرّواية فهو على العكس منهم يخضع لقانون التغيّر ويتخّذ طريقا محفوفا بالحواجز والصّراعات التي تفرض عليه التحوّل والتغيّر"[1].

أمّا بطل الرّواية فإنّه مختلف عن الأشخاص الآخرين العاديين، فهو خاضع من طرف المؤّلف لكلّ تغيّر وتطوّر، يجعله يسلك المسالك الصّعبة المحفوفة بالمخاطر والمصاعب التي تجبره على التّغير والتحوّل للتّأقلم مع كل ما يحيط به.

ج- البطل المأساوي:

لابدّ أن يتصف بمواصفات تميّزه عن غيره "ولابدّ أن يكون البطل المأساويّ ذا حجم بطوليّ مناسب"[2].

- أن تكون بنيته قوية مناسبة لخوض المعارك والصراعات. وكذلك: "يجب أن يكون كريم الخلق"[3].

---

(1) بنية الشكل الروائي (الفضاء - الزمن - الشخصية): حسن بحراوي، ص212.

(2) تشريح النقد محاولات أربع: نورثرب فراي، تر: محمد عصفور، منشورات الجامعة الأردنية، دط، عمان، الأردن، 1991، ص45.

(3) قضايا معاصرة في الأدب والنقد: محمد غنيمي هلال، دار نهضة للطبع والنشر، (دط)، القاهرة، مصر، (دت)، ص83.

* "أولها أنّ الشّخصية يجب أن تكون خيّرة أي ملائمة لهدف التراجيديا ومناسبة لنوعها.

* ثانيها أن تكون الشّخصية مناسبة.

* ثالثها أن تكون الشّخصية مثل الشّخصيات العادية في الحياة.

* وأخيرا يجب أن تكون الشّخصية سوية"[1].

خيّرة حتى تجلب عطف الجمهور وتخلق التراجيديا، ومناسبة تتصف بالصّفات الّتي تليق بها، مثل الشّخصيات العادية، حتّى نستطيع تمثيل أنفسنا في مكانها، وسوية أن تناسب أقوالها أفعالها.

(1) النقد اليوناني عند الإغريق والرومان: عبد المعطي الشعراوي، مكتبة أنجلو المصرية، (دط)، القاهرة، مصر، 1999، ص137، ص138.

الفصل الأوّل: تجلّيات البطل المأساوي في ساق البامبو

I- ماهية البطل المأساوي:

1- اســمـــــه.

2- ديــنـــــه.

3- وطــنـــــه.

II- أسباب المأساة عند البطل:

1- حرمانه من والدته.

2- معاناته في الفلبين.

3- رحلة الشّقاء مع العمل.

III- بوادر الأمل عند البطل:

1- الوعد المنتظر.

2- خفوت الأمل عند عيسى.

3- عودة الأمل من جديد.

4- العودة إلى الفردوس المفقود.

IV- أسباب المعاناة عند البطل:

1- الخوف من المصير المجهول.

2- شكل وجهه.

3- الظّلم والشّعور باللا جدوى.

4- صدمته في الكويت ورحيله منها.

I/ في ماهية البطل المأساوي:

1/ اسمـــــــه:

لم تكن مأساة خوسيه سجينة شيء واحد،بل بدأت منذ ولد و تقلّد اسما وأصبح ينادى به، حتّى اسمه لم يسلم من لعنة المأساة ويَتجلّى ذلك في قوله:"خوسيه، جوزيه هوزيه ، أو عيسى..."[1].

اسمه وحده كان مجموعة أسماء،عانى طيلة حياته من فقدان الجنسية، فلا هو ينتمي إلى الفلبين قلبا وقالبا، ولا عربيّا أصيلا، ونجده يجسد معاناته في قوله: "فمشكلتي ليست في الأسماء بل بما يختفي وراءها"[2].

كانت مشكلته تتجلّى في المصير الّذي آل إليه.فقد صار عيسى أوخوسيه بمثابة كرة قدم كلّ طرف يقذفه للآخر للتخلّص منه.

يتحسر عيسى في دولة أبيه الكويت على مناداته بالفلبيني وفي بلد أمّه العربي حيث نجده لم يُعترف بانتمائه لا هنا، ولا هناك ،حيث نلمس ذلك جليّا على لسانه: "أمّا هنا فإنّ أوّل ما افتقدته هو ذلك اللّقب Arabo إلى جانب ألقابي وأسمائي الأخرى لأكتسب لاحقا لقبا جديدا ضمّته الظّروف إلى جملة ألقابي، وكان ذلك اللقب هو الفلبيني لوكنت فلبينيّا هناك أو Arabo هنا! لو تنفع كلمة لو"[3].

نجده في هذا المقام يتمنى لو ينادى فقط، في بلد أبيه عربي وفي بلد أمه فلبيني، وتتجلّى المأساة هنا في كونه يتمنى فقط، على تعدّد جنسياته، أن يكنى

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 2012، ص17.

(2) المصدر نفسه، ص17.

(3) المصدر نفسه، ص18.

في كلّ بلد بالجنسيّة الّتي من باب أولى أن ينادى بها.

2/ دينـــــــــه:

كانت مأساة عيسى عظيمة، لم يثبت له على دين معيّن فقدظلّ يتقلّب من ديانة إلى ديانة حتّى يهتدي إلى دينه، وهذا يعزوه إلى تفريط والدته: "أهملت والدتي تربيتي دينيّا على يقين، بأنّ الإسلام ينتظرني مستقبلا في بلاد أبي. ورغم أنّ أبي همس بنداء صلاة المسلمين في أذني اليمنى. فور ما حملني بين يديه، في المستشفى بعد مولدي فإن ذلك لم يمنع والدتي فور وصولنا، من أن تحملني إلى كنيسة الحي الصغيرة ليتّم تغطيسي في الماء المقدس في طقوس تعميدي مسيحيّا كاثوليكيّا. لم يكن يقينها بعودتي قد ترسّخ في ذاتها بعد"[1].

فبحكم اعتناء خالته به قامت بأخذه إلى الكنيسة، ليتقلّد الدّيانة المسيحيّة، حيث يدلي بذلك: "بلغت الثّانية عشر (...) وكان لزاما عليّ أن أزور الكنيسة (...) كانت زيارتي الأولى لكاتدرائية مانيلا، بصحبة ماما آيدا الّتي أصرّت أن أقوم بطقس التّثبيت (...) في الكاتدرائية بدلا من القيام به في كنيسة حيّنا حيث جرى تعميدي قبل سنوات. طلبت ماما آيدا من خالي بيدرو وزوجته الحضور ليشهدا الطّقس ليكونا والدّي بالمعمودية، وافق الاثنان وبقيت أمّي على رأيها: سيعتنق الإسلام عاجلا أو آجلا ولم تحضر"[2].

كان عيسى متأرجحا بين الاثنين، والدته الّتي تقول أنّ الإسلام بانتظاره في بلد أبيه ومربيته الّتي تختار له الدّيانة المسيحيّة لاعتناقها يقول إثر هذا الموقف: "محظوظ أدريان

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص63.

(2) المصدر نفسه، ص103، ص104.

لا شّك ولا إيمان، لا حيرة ولا خوف. لو كنت أنا من غرق في تلك اللّيلة لتعطب خلايا دماغي بدلا منك !"[1].

نجد عيسى يتمنّى غياب وعيه عن الوجود تماما، حتى لا يشهد ما شهده من تشتت وحيرة، بسبب ذلك الشك في الدين.

وإثر التّشتت والحيرة اللّتان عانى منهما عيسى، والأفكار الّتي تزدحم في رأسه بخصوص دينه كان يتمنّى لو جبل فقط، على دين واحد، يسير على تعاليمه فيقول: "لو ولدت لأب وأم كويتيين، مسلما (...) أذهب إلى المسجد يوم الجمعة وأستمع إلى الرّجل الواقف خلف المنصّة وأفهم ما يقول، بدلا من أن أرفع كفيّ، مقلّدا الرّجال حولي، مردّدا كالببغاء آمين آمين"[2].

كان يتمنّى هنا لو نشأ فقط مسلما، حتّى يفهم ما يقول، ويعرف ما الّذي يجب عليه فعله، من دون أن يبقى منتظرا الإذن من أحد حتى يتحرك،أو يقوم بأي شيء يخص دينه "لو ولدت لأب وأم فلبينيين من طينة واحدة، أعيش مسيحيا (...) أو مسلما فقيرا أعيش بطمأنينة بين جماعتي جنوبا في مندناو (...) أو بوذيا من أصول صينية (...) أحرق البخور كلّصباح أمام تمثال بوذا جلبا للرّزق، أو لو ولدت لأبوين من قبائل إيفوغاو في الشّمال (...) تحرسنا تماثيل الأنيتو من الأرواح الشرّيرة"[3].

نلاحظ أنّ عيسى يريد ديانة يثبت عليها أياّ كانت، المهم أن ينعم بالطمأنينة في نفسه

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص105.

(2)المصدر نفسه، ص63، ص64.

(3) المصدر نفسه، ص64.

* Tfugoo: منطقة جبلية في الشمال، تسكنها قبائل بدائية لها ديانتها الخاصة.

* Anito: اسم آلهة الايفوغاو، يصورها الناس بتماثيل خشبية داكنة اللون.

حيث نجده دائم الشّك والحيرة: "هل يجعل مني التّعميد مسيحيّا، وهل قبلت بالمسيحيّة دينا في طقس حضرته في حين كانت ذاكرتي لا تتّسع لشيء بعد (...) فهل أكون مسيحيّا؟

ولكن ماذا عن خلواتي الّتيأجد بها ذاتي، ورغبتي الدّائمة في التّوحد مع الطّبيعة حتّى أوشك أن أفقد حواسي الّتي هي مصدر المعاناة كما يقول بوذا في تعاليمه، تلك التّعاليم الّتي أدمنت قراءتها (...). أترانيبوذيّا من دون أن أعلم؟ وماذا عن إيماني بوجود إله واحد لا يشاركه أحد، صمد، لم يلد، ولم يولد؟ أمسلم أنا من دون اختيار؟ ماذا أكون؟"[1].

أيّ تيه هذا الّذي يعانيه عيسى مسيحي أم بوذي أم مسلم؟

3/ وطنـــــــــــه

تيه عيسى وشتاته من أمّ إلى أمّ، ومن وطن إلى وطن،ومن دين إلى دين، جعله يلوم والديه على كلّ شيء: "لو أنهما إتفقا على شيء واحد، شيء واحد فقط، بدلا من أن يتركاني وحيدا أتّخبط في طريق طويلة باحثا عن هوية واضحة الملامح، اسم واحد ألتفت لمن يناديني به، وطن واحد أولد به، أحفظ نشيده وأرسم على أشجاره وشوارعه ذكرياتي قبل أن أرقد مطمئنا في ترابه دين واحد أؤمن به"[2].

وفي هذا المقام أراد أن يكون عيسى بدلا من خوسيه، كويتي بدل فلبيني، مسلما بدل من مسيحيّ، أو بوذيّ، أو العكس المهمّ شيء واحد فقط،حتّى لا يعيش هذا الانقساموالشّتات بين أمّ ووطن ودين حيث يتحسّر قائلا: "إنّه قدري، أن أقضي عمري باحثا عن اسم ودين ووطن"[3].

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص65، ص66.

(2) المصدر نفسه، ص63.

(3) المصدر نفسه، ص66.

حيث يرجع كل هذا التّيه والشّتات إلى والديه اللذين كانا السبب الأكبر في مأساته فهما من أتيا به إلى هذا الوجود حيث يصرّح بذلك: "أفكر أحيانا في تلك الدقائق الّتي استغرقها الاثنان معا، راشد وجوزا فين، على ذلك المركب، قبل أن يصبحا أبي وأمّي. أيّ جنون هذا الّذي يخلق من دقائق متعتهما بؤس حياتي بأكملها ؟ !"[1].

فنتيجة زواج ممنوع ولد فتى منبوذا عانى كلّويلات القهر والألم والعذاب في حياته، يقول عيسى متحسرا عن والده، أنّه لم يتعدّ حدود حفاظه عليه، إلاّ وهو في أحشاء أمّه فقط.

ويظهر ذلك في قوله: "ورغم أنّه تمكن من الحفاظ عليّ في أحشاء أمّي، فإنّه لم يتمكّن من ذلك بعد خروجي من هذه الأحشاء"[2].

بعد ذلك تركه يصارع مصيره المأساوي الّذي عانى منه طوال حياته.

فلو كان الأمر بيد عيسى لمّا أتى أصلا إلى هذا العالم، فقد آثر الموت قبل الخروج إلى الوجود: "لو أنّه ركل بطن أمي لينتهي بي المطاف قطعة لحم مستديرة تسبح في دمائها"[3].

فضل عيسى الموت وهو جنين في بطن أمّه، أحسن من مجيئه إلى مصير مشؤوم،عانىفيه كلّ أنواع الألم والعذاب، ويؤكّدُ ذلك في قوله: "لو فقصت من بيضة ذبابة منزلية أعيث في البيت فسادا، أشيخ بعد عشرة أيام، أستسلم للموت بعد أسبوعين كحد أقصى"[4].

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص63.

(2) المصدر نفسه، ص44.

(3) المصدر نفسه ، ص45.

(4) المصدر نفسه، ص65.

فمن جرّاء المهانة والذلّ الّذي عاشه، تمنّى لو كان عمره عمر ذبابة منزلية، تشيخبعد مدة بسيطة،وتموت حتّى لا يعاني ما عاناه، من ازدراء وتهميش فيحسّ نفسه أحيانا شيء لا قيمة له، حيث يقول: "أحيانا كنت أتخيلني حصاة مهملة في الأرض ذاتها، قد يتغيّر مكانها، يطمرها الرّمل، ويكشف عنها المطر ولكنّها تبقى هناك لا تتجاوز سور البامبو الّذي يحيط الأرض"[1].

يتخيّل عيسى نفسه حصاة منسية على أرض، لايستطيع تجاوزها، فيتمنّى لو أنّه مثل: "شجرة البامبو، لا انتماء لها نقتطع جزء من ساقها، نغرسه، بلا جذور، في أي أرض لا يلبث السّاق طويلا حتّى تنبت له جذور جديدة، تنمو من جديد، في أرض جديدة بلا ماض بلا ذاكرة، لا يلتفت إلى اختلاف النّاس حول تسميته، كاويان في الفلبين خيزران في الكويت أو بامبو في أماكن أخرى"[2].

كذلك نجد خوسيه يتمنّى لو أنّه جاء مثل شجرة البامبو، الّتي تستطيع أن تنمو في أيّ مكان، أو أيّ أرض، بمجرد غرس ساقها، دون النظر إلى ماضيها أو تسميتها.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص93.

(2) المصدر نفسه، ص94.

II/أسباب المأساة عند البطل:

1/حرمانه من والدته:

تجلّت المأساة في ظلم عيسى من يوم مولده، وفي كلّحياته،وذلك أوّلا حين تخلى عنه والده،فأرسله وأمه إلى الفلبين، ثم حين هجرته والدته، وتركته وحيدا مع جدّ قاسوخالة مدمنة، في سنّ صغيرة يتجلّى ذلك في قوله: "حين بلغت الثّالثة من عمري قرّرت والدتي الاستقرار في منزل زوجها، تاركة إياي في رعاية خالتي آيدا"[1].

وقد كان سبب هجرانها هذا له، حتّى لا تحسّ ألم فراقه عند الرّحيل، كانت أنانية هي أمّ عيسى، فكّرت في مدى وقع الحرمان على نفسها، ولم تفكّر أنّ حاجة طفل صغير لأمّه هي أشدّ ألما، و وقعا عليه، عندما لا يجدها بجانبه ، وهو في أمسّ الحاجة إليها فيقول إثر هذا الحرمان: "ابتعدت أمّي عنّي شيئا فشيئا، هكذا مقابل ابتعاد أمّي كان اقترابي من خالتي آيدا، أصبحت أناديها ماما آيدا، من كان بوسعه أن يقبل بأكثر من أمّ سوى من تاه في أكثر من اسم، أكثر من وطن، أكثر من دين؟ !"[2].

مسكين هو عيسى مأساته جدّ كبيرة، ظلّ تائها، حائرا،طوال حياته يعاني الشّتات والانقسام في كلّ شيء الإسم: خوسيه/عيسى، الأم: الخالة آيدا/جوزافين، الوطن: الكويت/الفلبين، الدّين: المسيحية/ الإسلام/ البوذيّة.

فقد عانى عيسى حرمانه منها وهي بجانبه، وهي بعيدة عنه أيضا،حيث يصرّح بهذا: "سافرت أمي للعمل في البحرين، لتتركني في رعاية خالتي آيدا لثلاث سنوات"[3].

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص82، ص77.

(2) المصدر نفسه، ص102.

(3) المصدر نفسه، ص82.

وهكذا فقد عانى عيسى كلّ أنواع الحرمان، سواء كانت والدته في نفس البلد فهي تحرمه منها، أو بذهابها للعمل خارج البلد فهو محروم منها في كلتا الحالتين.

2 / معاناة عيسى في الفلبين:

وتبدأ رحلة عيسى في المأساة عندما تطأ رجلاه أرض الفلبين، وأرض جدّه ميندوزا بالـذّات، فيقول: "سافرنا إلى الفلبين، لنعيش في أرض جدّي ميندوزا الّذي نسبت إليه اسميّا لأصبح هوزيه ميندوزا"[1].

اسم يضاف إلى جملة أسمائه، ذلك الجدّ، الّذي عندما انقطعت الحوالات المالية عن عيسى ووالدته أصبح يعامله معاملة سيئة فيقول في هذا: "بات جدّي يكرهني لم يعد يتجشم عناء مداراة مشاعره اتجاهي بعد انقطاع حوالات أبي المالية (...) فقد أصبح رغم سنّي الصّغيرة يجاهر بعدائه لي"[2].

فكان نتيجة هذهالمعاملة القاسية التي يعاملها لحفيده ،أصبح يكن له الكره، وصرّح بذلك: "أكره جدّي بشكل فضيع، أتمنى له الموت"[3].

إنّ كره عيسى لجدّه لم يأت هكذا من فراغ، بل نتيجة القسوة عليه بشكل مبالغ فيه فقد كان يثقل كاهله بالأعمال الشّاقة وهو صغير فيقول: "املأ وعاء الديوك بالماء، نظّف الحظيرة، أحمل بقايا الطّعام إلى وايتي، تسلّق شجرة المانجو واقطف، أو قم بتسخين الزّيت واتّبعني، لم يكن هناك من يرضخ لميندوزا سواي، نالت أمي في الزّواج حريتها، بعد أن نالت ماما آيدا قبل ذلك بسنوات حرّيتها بالتّمرد، أمّا ميرلا فإنّ حريتها

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص55.

(2) المصدر نفسه، ص79، ص81.

(3) المصدر نفسه، ص61.

وخلاصها يكمنان إلى جانب شخصيتها، في انتمائها لماما آيدا ما يحجب رؤية جدي ميندوزا لكلّ هؤلاء ليبصر من ثقب صغير وجودي فقط، أنا الّذي لم أنل حرّيتي معه"[1].

لكنّه ظلّ هو الوحيد سجين قضبان طلبات جدّه الجشع، إلى أن افتكّ حرّيته بكلتا يديه قائلا: "كنت في السادسة عشر: تركت المدرسة، نويت أن أحرّر نفسي من ذلّ ميندوزا وحسب، ومن طلباته الّتي باتت لا تطاق، كنت على استعداد للقيام بالأعمال نفسها الّتي يكلّفني بها شريطة أن تكون في مكان آخر مقابل أجر أتقاضاه"[2].

نعم تحرّر عيسى فعلا من جـدّه، إلاّ أنّـــه لم يتحرّر من مصاعب الحياة، فقد ظلّ يقاسي طول عمره من جرّاء تركه تعليمه، سواء كان هذا في بلد أبيه، أو بلد أمّه، حيث انتابه إثر قراره هذا شعور بالخوف تجاه المجهول. يخبرنا بهذا: "لأوّل مرّة أشعر بأنني وحيد وبأنني أملك مصيري بيدي شعور بالفزع انتابني حين شعرت بأن لا ملجأ لي سواي"[3].

شعور الوحدة الّذي أصاب عيسى لأنّه بقي وحيدا مع جدّ بغيض، خاله وزوجته رحلا إلى منزلهما، أمّة استقرت في بيت زوجها نهائيا وابنها الصغير، وخالته عادت للشّرب وتدخين الماريجوانا، ولعالمها الخاص بها، ثم ترك ابنة خالته المنزل ورحيلها منه وهي التي كانت تؤنس وحدته وتسليه.

3/ رحلة الشّقاء مع العمل:

بدأ عيسى رحلة عمله من بـائع موز، إلى عامـل تدليك، إلـى مجدّف بقصبة من ساق البامبو في إحدى المراكب الفقيرة، ويتجسّد ذلك في مايلي: "أمام عربة موز

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص106.

(2) المصدر نفسه ، ص131.

(3) المصدر نفسه، ص131.

في مانيلا تشايناتاون، كنت أقضي نهاري كلّه، أحصل من عملي هذا على عمولة بيع وحسب، تتفاوت بين يوم وآخر ولكنّها، حتّى في أيّام السّبت والأحد أكثر أيام البيع لم تكن تساوي شيئا"[1].

ثم بعد ذلك عمل في المركز الصّيني: "وقعت عقدا مع المركز الصّيني فور اجتيازي التّدريب بنجاح (...)ثم وظيفة تعيسة بائسة براتب لا يضمن لي أن أعيش إلى نهاية الشّهر"[2].

تسلل اليأس إلى نفس عيسى خاصة بعد وظيفته التعيسة الأخيرة، التّي كان يظل فيها واقفا طوال النّهار، دون مقابل مناسب، ففي في هذه الرّحلة الأخيرة له في العمل التقى أصدقاء كانوا سبب مأساته.

يسرد لنا عيسى تفاصيل معاناته، وألمه، مع وظيفته التّعيسة، والشّاقة: "مهمّتي الوقوف في مقدّمة المركب، حاملا قصبة طويلة من البامبو، أستشعر بها اقترابنا من المياه الضّحلة، وأبعد بواسطتها مقدّمة المركب عن الصّخور إذا ما اقتربنا من الشّاطئ، أرمي المرساة لحظة الوصول، وأقوم بربط المركب، بواسطة حبل سميك إلى أحد الأعمدة المخصصة لذلك في ميناء الجزيرة الصّغيرة، ثمّ أقوم بمدّ لوح خشبي من المركب إلى الشّاطيء ليتمكن الركاب من العبور، أتبعهم حاملا حقائبهم إلى السّيارة الّتي تقلّهم إلى المنتجع، كنت أقضي اليوم بطوله واقفا في صدر المركب أرافق الركاب"[3].

كانت وظيفته شاقّة وصعبة لمثل من هم في سنّه، حيث تسلّل الحزن واليأس إلى قلبه

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص133.

(2) المصدر نفسه، ص148.

(1) المصدر نفسه، ص149، ص150.

منها، ويزداد هذا الحزن حدّة، عندما يرى فئة العرب وخاصة الكويتين، الّذين كان يعتقد نفسه منهم يدلي بذلك: "في البدء، كنت أميّز السّياح العرب، أمّا فيما بعد، فقد أصبحت أميّز الكويتين من بينهم لأنّني واحد منهم كنت أحاول أن أقنع نفسي"[1].

كان عيسى يحاول إقناع نفسه بأنّه كويتي، لأنّه لم يحس بذلك أو يعيشه حتّى، فقد كان يعيش في تلك الأثناء في حالة من الفقر، والحزن الكبيرين، يرى أبناء وطن أبيه كيف يعيشون في بذخ وترف، وهو في أمسّ الحاجة ولو للقمة خبز، ليسدّ بها رمقهفيقول واصفا حالهم منبهرا بهم: "ثيابهم، أحذيتهم، نظاراتهم وعطورهم، يبدون أغنياء بثيابهم، كنت أحصل منهم على الكثير، وكأن المال لا يعني لبعضهم شيئا"[2].

كان عيسى كلّما رأى أبناء وطن أبيه الكويت، ينعمون بالسعادة والهناء وذلك المستوى الراقي من المعيشة، أصبح يتمنّى لو يصير فقط،واحدا منهم فيقول: "حتّى أنظر إلى نفسي في مقدّمة المركب حاملا القصبة بين يدي، أنظر إليها، متمنّيا أن تستحيل عصا سحريّة تحيلني واحدا منهم"[3].

كان عيسى ينظر إلى قصبة ساق البامبو، ويخاطبها قائلا: مثلي مثلك نستطيع العيش سويا في مكان آخر، ونغرس جذورنا في وطن غير الوطن، حتى نعيش في رغد من العيش، مثل أولئك الكويتيين أبناء وطني، فنظرا لما لاقى عيسى من المعاناة فقد ضاقت عليه السّبل، ويبدو ذلك جليّا في قوله: "سوف أبكي إذا ما طال بي البقاء هنا"[4].

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص151.

(2) المصدر نفسه، ص151.

(3) المصدر نفسه، ص151.

(4) المصدر نفسه، ص153.

وفي هذه الوظيفة التعيسة بالذّات، يلتقي فيها بأشخاص يصبحون أصدقاءه، يكون أحدهم فيما بعد هو سبب مأساته،فها هو يحاول جاهدا أن يثبت لهم بالعبارات الكويتية الّتي لقنتها إياه والدته، وبالرّقصة الكويتية الّتي تعلمها كذلك أنّه كويتي، فيستهزئون به قائلين: "نعم أنت على حقّ كويتي ولكن 'Made In Phihppines' "[1].

بسبب شكل وجهه الفلبيني البحت، الّذي كان سبب مأساته عند أهله في الكويت يقول حيال هذا: "وددت لو أقسم، بأن والدي كويتي وأنّي ولدت هناك ولدي أوراق تثبت ذلك"[2].

وها هو عيسى عندما حان موعد رحيلهم خيّم عليه حزن عظيم، لعودتهم إلى الفردوس المفقود، الّذي يتمنى رؤيته والولوج إلى بابه، وهو لا يستطيع إلى ذلك سبيلا. فيعبر إثر هذا الموقف عن حزنه : "الحزن الذي انتابني بعد أن حطّت الطائرة في مطار الرّحلات الدّاخليّة كان بسبب أولئك المجانين الّذين عزموا على الرّحيل إلى بلاد أبي من دوني"[3].

كان يودّ عيسى فقط لو يستطيع الذّهاب معهم إلى بلد الحلم الّذي يتوق لرؤيته،بلد العجائب والرفاه.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص159.

(2) المصدر نفسه، ص162.

(3) المصدر نفسه، ص161.

III/ بوادر الامل عند البطل:

1/ الوعد المنتظر:

بعد كلّ المعاناة الّتي عاناها عيسى، وبعد غلق كلّ المنافذ والسبل أمامه، صار يريد أن يتحقّق ذلك الوعد، فهاهو يتساءل: "متى سيتحقّق وعد أبي؟ متى؟ كانت الأبواب في بلاد أمي قد بدأت توصد في وجهي، الواحد تلو الآخر، ولم يتبق سوى أبواب موارية، بالكاد أتسلّل من أحدها إلى ما يضمن لي الاستمرار في العيش زمنا مؤقتا"[1].

كان في اعتقاد عيسى، أنّ هذا الوعد هو مفتاح باب الجنّة، يخبرنا قائلا: "وعدا كان قد قطعه والدي لوالدتي بأن يعيدني إلى حيث يجب أن أكون، إلى الوطن الّذي أنجبه وينّتمي إليه لأنتمي إليه أيضا، أعيش كما يعيش من يحمل جنسيته ولأنعم برغد العيش وأحيا بسلام طيلة العمر"[2].

يتّضح من هذا الوعد أنّ عيسى يعلّق عليه آمالا كبيرة، وه ويعتقد من خلال تنفيذه ذلك الوعد، سيستطيع الولوج إلى فردوسه المفقود ليأخذ ما اشتهت عيناه ويغترف ماستطاعت يداه لكن هيهات يا عيسى ليس كلّ مختف أو بعيد جميل، ففي بعضالأحيان الأجدر بنا أن نبقى بعيدين قدر الإمكان، عن الأشياء الّتي نراها جميلة حتّى تبقى صورتها جميلة في أذهاننا إلى الأبد، ولا نصطدم بحقيقة تفجعنا وتهز تلك الصورة الجميلة.

يصرّح عيسى: "الصّورة الّتي كانت ترسمها أمّي لي عن الجنّة الّتي تنتظرني، أصبحت

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص149.

(2) المصدر نفسه، ص18.

أنتظر ذلك اليوم الّذي سأصبح فيه غنيا، قادرا على الحصول على ما أريد، لكن دونجهد (...). كنت أتخيلني مثل أليس، أتبع وعود أمي بدلا من الأرنب، لأسقط في حفرة تفضي إلى الكويتبلاد العجائب، أقنعتني أمي أننا نعيش في الجحيم، وأن الكويت هي الجنة التي أستحق"[1].

أحيانا يكون بث الأمل فينا اتجاه شيء مفقود، أو شخص مجهول لدينا، هو الظّلم بحدّ ذاته، هو الأسى بعينه،هذا ما فعلته جوزافين والدة عيسى، التي ضخمت له صورة الكويت أكثر من المعقول، كما نفخت له صورة والده الّذي تخلّى عنه وهو في أمسّ الحاجة له، ولم يُؤَمِّن له مستقبله ولو حتمادّيا، وقد زاده ظلما على ظلم، بإحضاره إلى أهل ينبذونه ويَزدرونه، ووضعه في بيئة غير بيئته ومجتمع غير مجتمعه، ووطن غير وطنه، ولغة غير لغته،الذي يعيده عيسى إلى والده:

"ذنب والدي الّذي أحضرني إلى أرضكم بعد سنوات عدّة قضيتها هناك.أراد أن يزرعني من جديد، متناسيا أنّ النّباتات الاستوائية لا تنمو في الصحراء"[2].

عيسى يلوم والده على إحضاره إلى أرض يستحيل العيش فيها، ويمثل نفسه مثله مثل النبات الذي لا يمكن أن ينمو في أرض غير أرضه،وأن يشرب ماءا غير مائه.

2/خفوت الأمل عند عيسى:

بات أمل العودة إلى الفردوس المفقود، بعيد المنال عن عيسى: "ما عادت الكويت تمثل لي شيئا منذ وقوع أبي أسيرا في الحرب. انصرفت فكرة العودة إلى بلاد أبي من تلقاء نفسها. كنت قد فقدت لهفتي وأملي بالرّحيل إلى بلاد العجائب. ماذا لو تحقق الوعد؟

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص71.

(2) المصدر نفسه، ص387.

كنت أتساءل ماذا لو عاد ذلك الّذي يدعى راشد أمصير شجرة البامبو ينتظرني"[1].

يتساءل عيسى عمّا إذا كانت عودة ذلك الغريب راشد ممكنة، هل سيستطيع أن يعود إليه ويغرسه هناك، وتنبت له جذور وأصول، هل سيلاقي نفس مصير شجرة البامبو إذا أخذت ساقا منها وغرسته في أيّ مكان، ينبت وتستقيم له جذور وأوراق وكأنّه من ذلك البلد فعلا؟

3 / عودة الأمل من جديد:

بعد اندثار الأمل، والرّضوخ للواقع المرّ، الّذي يعيشه عيسى رغما عنه يعود له بارق الأمل من جديد،نابضا في صديق والده غسان،الّذي يعبر عنه بأرنب أليس: "ظهر أرنب أليس من دون سابق إنذار (...) لطالما انتظرتك يا أرنب، تظهر أمامي بشكلك الغريب أتبعك أتعثر أسقط في حفرة تفضي إلى بلاد أبي، ولكن يبدو أنّ السّقوط في الحفرة ليس بالسهولة الّتي تصوّرت"[2].

يشبه عيسى غسان صديق والده بأرنب أليس، الّذي يؤدي إلى حفرة توصل إلى بلاد العجائب، فيقول:"بعد حوالي ستة شهور من التّرتيبات بعد مكالمة غسان الأولى استلمت جواز السفر من سفارة الكويت في مانيلا"[3].

وأخيرا تحقّق الوعد، سيعود عيسى إلى الفردوس المفقود، ويخرج من الجحيم الّذي يعيش فيه،كما كان يتصوّر!

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص101.

(2) المصدر نفسه ، ص170.

(3) المصدر نفسه، ص178.

4/ العودة إلى الفردوس المفقود:

هاهو عيسى يصف يوم وصوله إلى الكويت: "مطار كئيب ذلك الّذي حطّت به الطّائرة. الوجوه تشبه مطارها، كئيبة بشكل لم أجد له تبرّيرا"[1].

حيرة ألمّتبعيسى، عند وصوله ورؤيته للمطار،بمنظره المؤسي للحال فيقول حيال المعاملة الّتي لوقي بها، بدءا من وطء رجليه الكويت وبالذات المطار: "وقفت في أحد طوابير GCC *خلف رجال يرتدون تلك الثّياب الفضفاضة مع أغطية الرّأس العربيّة لابدّ أنهم مثلي كويتيون (...) دسست كفي في جيب البنطلون، وقبل أن أخرج منه الجواز صرخ بي الرّجل بطريقة فظّة صعقتني أشار بيديه نحو الطّابور الآخر حيث يقف الفليبنيون، قال كلاما لم أفهمه (...) رفض وجهي قبل أن يرى جواز سفري"[2].

الازدراء الّذي لاقاه عيسى من طرف موظّفي المطار بسبب شكل وجهه، واللغة التي يجهل فهمها والتّعامل بها، والذي كان في استقباله صديق والده غسان بدلا من عائلته يقول:"في الزّحام كان يقف، لم أكن لأعرفه لولا الورقة الّتي يحملها بين يديه تحمل اسمي العربي أو رقمي الفلبيني ISA (...) عيناه حزينتان بشكل لم أر له مثيلا. لو سئلت يوما كيف يبدو الحزن؟ سأجيب وجه غسان"[3].

يصف عيسى الحزن الّذي كان باد على وجه غسّان يوم مجيئه، أحس به وميزه من تعابير وجهه.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص185.

* موطنو دول مجلس التعاون الخليجي.

(2) المصدر نفسه، ص185، ص186.

(3) المصدر نفسه، ص178.

يشير عيسى تجاه منظر الأعلام الغريب في المطار سائلا صديق والده : "أشرت باتجاه الأعلام المثبتة إلى منتصف السّاريات (...) في الفلبين يكون العلم في أعلى السّارية. هزّ رأسه وبإنكليزية غربية اللهجة قال: وفي الكويت كذلك وفي كلّ مكان، ولكنّ الدولة في حالة حداد (...) مات أمير البلاد"[1].

يا لحظ عيسى العاثر، يصل في اليوم الّذي توفي فيه أمير البلاد، حتّى تترسخ لدى جدّته المتطيّـرة فكـرة أنّـه مصدر شـؤم هو و والدته فيؤكّد هذا في قوله: "كان من المفترض أن يذهبي غسانفور خروجنا من المطار، إلى منزل جدّتي غنيمة، هذا ماقاله لي ولكن والحالة حداد والنّفسيات مرهقة، والأهم من ذلك، مـزاج جدّتي في ذلك الوقت.

كيف ستتقبـل مجيئي إلى الكويت في الوقت الّذي توفي فيه الأمير؟ ألا يكفي ماسببناه أنا وأمّي من قبل؟وصول أمّي وقت تفجيرات الموكب الأميري (...) ولادتي واختطاف الطّائرة، سفرنا والإفراج عن ركابها"[2].

بعد بقاء عيسى في شقّة غسان مدّة شهر كامل، يأتي اليوم الموعود ليقابل جدته يقول: "مرتعش الجسد كنت والعرق يتصبّب من جسدي (...) أمام بيت جدّتي (...) بكيت كطفل يوشك أن يلقى في حفرة مظلمة"[3].

إزاء الرّعب الّذي تملّكه، بقي عيسى في السّيارة، منتظرا تقرير مصيره، المرهون بين يدي جدته وكلام الناس والعمة نورية.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي،ص187، ص188.

(2) المصدر نفسه، ص189.

(3) المصدر نفسه، ص206.

فيقول: "مسحت دموعي بالمنديل وأخذت أراقبه وهو يدقّ جرس الباب (...) من أيّ بابسيخرج يا ترى؟ من باب المرآب حاملا خيبته كما حملني أبي قبل سنوات أم؟"[1].

عيسى يتساءل هل سيلاقي الطّرد، كما لاقاه هو من قبل مع أبيه والرّفض والإرسال إلى ملاقاة مصير مأساوي مع أمّه، في أرض جدّه، فقر وإهانة وذلّ: "خرج غسان بوجهه الّذي لا يترك مجالا للتّخمين (...) آثرت الصّمت وهيّأت نفسي للعودة إلى أرض ميندوزا، مرّة أخرى. يبدو أنّ سيقان البامبو لا تضرب جذورها هنا، قلت في نفسي"[2].

كل الحزن والألم على مجتمع يعطي قيمة لكلام النّاس على حساب حق إنسان، وليس إنسانا عاديا وإنّما هو ابن فلذة كبدها الوحيد، هذا كان حال الجدة غنيمة في تلك الليلة العصيبة.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص207.

(2) المصدر نفسه، ص210.

IV/ أسباب المعاناة عند البطل:

1/الخوف من المصير المجهول:

بعدما نال عيسى مبتغاه، تملّكه رعب وخوف كبيران، ففور تسلّمه جواز سفره توجّه مسرعا إلى الصّلاة في الكاتدرائية، حيث يقول: "ومن السّفارة إلى كاتدرائية مانيلا توجّهت على الفور، الارتباك بعد أن أصبح سفري محتوما تملّكني متحالفا مع الخوف من المجهول"[1].

حيث شرع فيها بالصّلاة قائلا: "أبانا إني عائد إلى حيث ولدت، إلى بلاد أبي الّذي لم أره إلى مصير أجهله ولا غيرك يعلمه (...)، لا أحد يعرف ما ينتظرني سواك"[2].

أيضا اتّجه إلى معبد سينغ غوان مستنجدا: "وقفت أمام تمثال بوذا الأوسط (...) ابن الربّ ومخلّص البشرية من مآسيها وآلامها (...) أرشدني وكن لي معينا أبصر بواسطتك النّور"[3].

نفهم من هذا أنّ عيسى رغم رغبته ولهفته في الذّهاب إلى وطن أبيه، إلا أنّه كان خائفا من مصير مجهول ينتظره، وكأنه أحسّ بما سيلاقيه من ازدراء وتحقير، أو تنبأ بمصيره المأساوي الذي سيشهده في الكويت.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص178.

(2) المصدر نفسه، ص178.

(3) المصدر نفسه، ص181.

2/شكل وجهه:

كانت ليلة الجدة،عسيرة: "عاشت جدّتي ليلة لقائها بغسان في حيرة كما عرفت لاحقا فأنا حفيدها عيسى راشد عيسى الطاروف، اسم يجلب الشّرف وجه يجلب العار، أنا عيسى ابن الشّهيد راشد وفي الوقت نفسه أنا عيسى ابن الخادمة الفلبينيّة!"[1].

مأساة عيسى ومشكلته الكبرى كانت في وجهه،وهي السبب الرئيسي في رفض أهله له لأنّه إثبات قاطع بأنّه ابن الخادمة الفلبينيّة جوزافين من جهة، ومن جهة أخرى، هو ابن الطاروف وهو من سيضمن استمرار لقب العائلة، ممّا وضع جدّته في المحكّ فيصف عيسى عند ذهابه إلى أهل أبيه ردة فعلهم اتجاهه و يقول: "حين عدت إلى بلاد أبي وجدتهم متورطين بي يريدونني ولا يريدونني، بعضهم سعيد بعودتي، بعضهم في حيرة وبعضهم الآخر يطلب تسوية الأمر ماديا ويطلب مني العودة (...) وأنا أقف على أرض لست أعرفها، باحثا عن أرض تأويني بين بلاد أبي وأمي"[2].

عيسى يبحث عن مأوى مناسب فقط له، سواء أرض أمّه،أو أبيه، ينعم فيه بالرّاحة والطّمأنينة، ويحكي لنا عن كيفية دخوله إلى بيت الطاروف عنوة: "بسبب خولة مدلّلة غنيمة كان قبولي في منزل الطاروف (...) مغتصبا، ألحّت أختي على جدّتي لقبول زيارتي (...) كلّ شيء يحدث بسبب ولسبب (...) تزوّج أبي من إيمان ليمهّد لحضور شفيعتي لدى بيت الطاروف. لولاها لما سنحت لي الفرصة للاقتراب من ذلك البيت قطّ (...) حمدا لله على خولة"[3].

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص214.

(2) المصدر نفسه، ص224.

(3) المصدر نفسه، ص215.

عيسى يشكر الله ويحمده على وجود أحد يسنده ويمسك بيده، وأدخله إلى ذلك البيت المهول، بيت عائلة الطاروف، بيت والده.

ياللخيبة تكون أخته من أبيه سببا في دخوله، وجدّته ترفض تواجده في الكويت أصلا حيث لا تعتبره إنسانا مثلهم، وذلك على حسب قول عيسى: "استشهد أبي أثناء الاحتلال من دون أن ينجب ذكرا، على اعتبار أنّني مجرّد شيء كما قالت جدّتي"[1].

يا للأسى الّذي يعانيه عيسى من جدّته منذ يوم مولده،فهي تعتبره مجرد شيء لا قيمة له فتنعته بالسّمكة الفاسدة، عيسى في هذا الموضع يرثى لحال أخته الّتي ولدت دون رؤية والدها فيقول: "مسكينة خولة، لم يهمس أبي في أذنها اليمنى بعد ولادتها بنداء الصّلاة، لم يحملها بين يديه لم يختر لها أن تكون خولة"[2].

المسكين فعلا هو عيسى فقد عاش في فقر وإهانة كبيرين، عكس خولة الّتي عاشت في عزّ وترف كبيرين وحبّ عظيم،من طرف الجميع حيث: "كانت أختي، في بيتجدّتي غنيمة خولة ابنة راشد التّي لا يرّد لها طلب. غالية غنيمة ومحبوبتها. كانت تخشى عليها من الإنس والجن"[3].

يصف عيسى المسكين كيفية معاملة جدته لأخته، وكيفية تدليلها لها، واهتمامها لأمرها على عكسه هو، الّذي لا تعتبره إنسانا حتّى، ولا تأبه لأمره، المهم في الأمر أن تصون اسم العائلة من أيّ شائبة تشوبه أو تشوّهه، فيقول بشأن قبول عائلته له: "الشّرعية وحدها

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص211.

(2) المصدر نفسه، ص212.

(3) المصدر نفسه، ص213.

ليست كافية للاعتراف بي، هل أحارب من أجلها؟ الملوك يفقدون شرعيتهم متّى ما رفضهم النّاس وأنا مرفوض"[1].

يتبيّن من هذا أنّ عيسى يعترف بأنّه ليس كافيا أن أكون ابنا شرعيّا فقط، بل لابدّ من اعتراف العائلة، كذلك حتّى تتمّ هذه الشّرعية مثل الملك تماما، إذا اعترف به الشّعب استحق الملك وإن لم يعترف به، كان مرفوضا حتما ودون أدنى شك.

كان من المفروض أن يكون عيسى في قمّة الفرح والسّرور لأنّه عاد إلى عائلته ولكن كان العكس، وهذا لما لاقاه من ردّة فعل منهم، يبدو ذلك في الرّعب الّذي تملّك عيسى وذلك عند زيارته لبيت أهله، حيث مثّل نفسه بالجرذ، وعمّته نورية الآمرة النّاهية بسمك القرش، وجدّته بالنّسر المنغولي، فقد كان ردّة فعل عمّته هذه الرّفض التّام حيث يقول إثر ردّة فعلها اتجاهه:

"نورية رفضت رفضا قاطعا وجودي بينهم غضبت (...) محذّرة (...) ممّا قد يحصل (...) طالبت (...) بالإبقاء على اسمي الثّلاثي، عيسى راشد عيسى وإلغاء اللقب الطاروف من أوراقي الثّبوتية، والبحث عن مكان يأويني بعيدا عن بيت العائلة أو تسوية الأمر ماليا وإرسالي إلى بلاد أمّي من جديد"[2].

طالبت نورية بإلغاء لقب الطاروف، اسم العائلة الكبير من اسم عيسى، حتّى لا يكتشف أمر زواج سليل العائلة العريقة أخيها من خادمة فلبينية، ولكي لا تهتز وتتشوّه صورتهم أمام النّاس، حيث يحزّ هذا في نفس عيسى فيقول:"ما كدت أقبل اسمي الجديد

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص213، ص214.

(2) المصدر نفسه، ص222.

عيسى الطاروف، متحرّرا من أسمائي وألقابي القديمة، هوزية والـ Arabo (...) حتّى وجدت من يسيئه أن أحمل اسمه"[1].

أنانية هي نورية، فلقد فكّرت في تشويه صورتها أمام أهل زوجها، وخافت أيضا على زواج أولادها: "فقدت أعصابها: الكويت صغيرة والكلام ينتشر بسرعة لو علم فيصل زوجي، وأهله ستهتزّ صورتي أمامه، أفقد احترامي في بيت العادل، وأصبح أضحوكة لأخوات فيصل وزوجات إخوته لدي ابن وابنة في سن الزواج، لن أسمح لهذا الفلبيني أن يعرقل زواجهما هي الكلمات نفسها التّي قالتها الجدّة غنيمة لأبي (...) عندما اكتشفت حمل أمي: وأخواتك يا أناني ياحقير من سيتزوجهنّ بعد فعلتك؟"[2].

مسكين هو عيسى هضم حقه مرتين، مرّة لأجل زواج عمّاته، ومرّة أخرى لأجل زواج أولاد عمّاته، لم يفكّر فيه أحد، ولا في حقّه كإنسان كابن أخ، على الأقلّ، احتراما لذكرى أخيهم الشّهيد.

تقول عمّتي هند لابدّ من التّضحية، فيدلي بذلكمتأسفا حزينا يائسا: "التّضحية بوجودي بينهم قبل أن يكتشف أمري ولكن هل في عدم قبولي بينهم وطردي أيّ تضحية بالنّسبة لهم؟ لوكان الأمر كذلك لأسعدني الأمر. فاختيارها التضحية بي يعني بأني شيء ذو قيمة بالنّسبة لهم فالتّضحية الحقيقة هي أن نتخلى عن الأشياء الّتي لها قيمة لدينا لصالح الآخر، أشياء لا تعوّض. أمّا أنا فلا قيمة لديّ (...) لا حاجة لهم بي ليسفي ابتعاديعنهم خسارة لهم، ولا هم بحاجة لما يعوض غيابي إن أنا غبت"[3].

كان عيسى يتمنّى لو كان له فقط بينهم مكان،فلوحصل وضحوا به، سيسرّه ذلك

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص225.

(2) المصدر نفسه، ص223.

(3) المصدر نفسه، ص223، ص224.

فهذا يعني أن له قيمة كبيرة، فسيّان عندهم وجوده، وعدمه لا يؤخّر ولا يقدّم شيئا،وهاهو عيسى يشعر بذلك البرد الغريب الذي يسري في عظامه رغم اعتدال الجو فيقول: "كنت في شقة غسان أشعر بالبرد رغم اعتدال الجو بالنّسبة إليه أحكم قبضتي على كوب قهوة مسندا قدميّ بجورييهما السّميكين على مدفأة كهربائية"[1].

عيسى ساوره ذلكالإحساس بالغربة، هذا هو داعي البرد الذي أحسّ به،في حين الطّقس معتدلا، غياب الأمان، و الدفء، ضمن الأهل والأقارب، غياب السّند الّذي يدعمه، فقد قبلته جدّته، لكن على مضض، لم يكن عن طيب خاطر منها، بل مرغمة، فقد أسكنته في ملحق منزلها: "قبول جدّتي لي كان قبولا منقوصا. ملحق البيت ليس البيت ذاته (...) يسكنه الطّباخ والسّائق. لا يسكن في البيت سوى أصحاب البيت والخادمات في الطّابق الأخير"[2].

عيسى لم يصنف حتّى في مرتبة الخدم، لذلك عاش بصفته قنبلة موقوته، لكن لا يجبأن تنفجر في أيّ حالمن الأحوال، حتّى يحين موعد رميها بعيدا، والتّخلّص منها: "سأعيش في بيت جدّتي أو في ملحق بيتها بصفتي سرّا لا يجب أن يكشف للآخرين إذا ما سألك أحد الجيران أو خدمهم أنت الطبّاخ الجديد. هذا مؤقتا لحين أن نجد مخرجا لهذه المشكلة"[3].

اعتبر عيسى مشكلة لابدّ من إيجاد حل لها في أقرب الآجال، أو بالأحرى تغييبها نهائيا.

وقد حدث ذات مرّة، أن أخذت خولة أخاها إلى غرفة مكتب أبيهما، يوم سماحهم له

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص226.

(2) المصدر نفسه، ص229.

(3) المصدر نفسه ، ص230.

بدخول منزلهم لتريه صور العائلة، وتحكي له بعضا من ذكرياتهم،وفي تلك الأثناء بالذات: "فتح باب غرفة المكتب بعنف، ارتطم بالجدار ارتعدت حين شاهدت جدّتي غنيمة (...) بحاجبين مقطبين ومن دون أن تنظر إليّ وبّخت خولة بكلمات أجهلها (...) في وقت لاحق أخبرتني خولة أنّ جدّتي لا تثق بي، وأنّهالامتها على وجودها معي في غرفة المكتب لوحدنا والباب موصد قالت لها: لا يصحّ أن تبقيا معا أنتما الإثنان و ثالثكما الشّيطان"[1].

تخونني الكلمات للتّعبير عن هذه المأساة، حيث جدّة تمنع أخا من البقاء مع أخته، لأنّها لا تثق به، أيّ ظلم هذا الّذي يرتكب في حقّ عيسى، وهو يحاول جاهدا في الكويت نسيان الفلبين، لكي لا يقتله حنينه شوقا إليها، و في خضمّ هذا كلّه يجد خادمة اسمها على كلّ أقسام الفلبين الأربعة، وهو في أمسّ الحاجة للتّعرف على معالم جديدة، لوطن جديد:

"لوز فيميندا (...) الفلبين بأقسامها الجغرافية الثّلاثة، لوزون شمالا، فيسایاس في الوسط ومندناو جنوبا بالعودة إلى الأحرف من كلّ قسم يتشكّل الاسم لوز – في ميندا. قرّرت أن أناديها كما اختارت لها جدّتي، لوزا، كي لا تظهر خارطة الفلبين أمامي كلّما ناديتها وأنا في أمسّ الحاجة للتعرّف إلى خارطة جديدة. تذكّرت شتاتي مع الأسماء أنّبني ضميري. تراجعت عن قراري واستبقيت اسم لوز فميندا كما هو"[2].

تفاديا لهذا الشّوق والحنين، أرادعيسى تفادي كل شيء يذكره بالفلبين حتى ولو كان اسم خادمة، ولكن لما تذكر مأساته الدائمة مع تشتّت الأسماء قرر ألاّ يعيدها مع أحد

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص236، ص237.

(2) المصدر نفسه، ص240، ص241..

عانى عيسى ما عانى في بيت جدّته من تهميش وتحقير حيث يقول:"قضيت الأشهر الأولى في منزل جدتي غنيمة أتناول وجباتي الثّلاث في المطبخ"[1].

فلم يكن أحد يهتم لأمر عيسى في بيت جدّته غنيمة إلاّ أخته: "خولة كانت تزورني كلّ يوم ولكنّها لا تدخل غرفتي، تكتفي بالوقوف عند الباب، نتبادل الحديث لساعات أحيانا على هذه الحال، دون أن يقترب أحدنا من الآخر. أثناء أحاديثنا أنا وخولة، كنت أستمع بين حين وآخر إلى انزلاق النافذة العلوية كانت جدّتي غنيمة تطلّ من غرفتها تراقبها وتطمئن إلى أنّ خولة لا تدخل إلى غرفتي"[2].

كان عدم دخول خولة غرفة عيسى بسبب الجدّة غنيمة الّتي كانت تمنع هذا الإنفراد، كما كانت العائلة تجتمع كلّ أسبوع، إلاّ عيسى المسكين كان يبقى محبوسا في الملحق، باعتباره سرّا خطيرا لا يجب كشفه وقد أدلى بذلك: "عمّتي عواطف ونورية تزوراني جدتي كلّ أسبوع مع زوجيهما وأبنائهما، وفي وقت الزّيارة يمنع عليّ الخروج من الغرفة خشية أن يعلم كل من أحمد وفيصل زوجيّ عمّتي، بأمري"[3].

يبقى عيسى في ذلك الوقت حزينا في غرفته يكابد آلام الحسرة والمصير الّذي آل إليه، لم يكن لعيسى حقّ في أيّ شيء قبل الكلّ حتّى ولو في فسحة،إن لم يذهب أحفادها يذهب، إن ذهبوا هم ليس له مكان بينهم فيخبرنا بهذا:"كانت جدّتي تسمح لي بمرافقتهن إذا ما علمت أن أحدا من أحفادها لن يقضي العطلة في الشاليه.

لم تكن جدّتي توافق على احتكاكي ببقية أحفادها، ولا أن يعرفوا شيئا من أمري

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص242.

(2) المصدر نفسه، ص243.

(3) المصدر نفسه، ص244.

لأن السمكة الفاسدة كما تقول تشبه بقية الأسماك"[1].

تعتبره جدته وكأنّه وباء،لابدّ من تفاديه وإلا نقل العدوى لأحفادها، أيّ جدّة هذه كانت غرفته في الشاليه، أيضا في ملحق: "خصصت لي عائلتي غرفة ملحقة بالشاليه في الاتّجاه المعاكس للبحر.لم يكن مسموحا لي بدخول الشاليه أو الاقتراب من البحر خصوصا إذا كانت نورية موجودة.

كانت رحلتي الأسبوعية إلى الشاليه تشبه الذّهاب إلى السّجن. ننطلق في سيارتين الأولى لجدّتي وأختي تقودها عمّتي هند، والثّانية لبابوولاكشمي ولوز فيمندا يقودها راجو. وليس من الضّروري أن أشير في أيّ من السيارتين كنت أذهب"[2].

كان عيسى يعامل معاملة الخدم، أو أدنى منهم حتّى، يركب معهم السّيارة الّتي تقلّهم، يأكل معهم في المطبخ، ففي يوم من الأيام وعندما خيّم الظّلام وهو في ملحق الشاليه خرج من الغرفة لأنّه محظور عليه الخروج في النّهار، متّجها إلى الشّاطئ الّذي أمام الشّاليه، ينظر إليه : "حثثت الخطى رغم رطوبة الجو كانت رمال الشّاطئ باردة. مياه البحر تنحسر في الجزر تاركة الرّمال نظيفة على مستوى واحد. لولا المدّ والجزر لبقيت آثار خطوات أمّي شاهدة على مأساتي"[3].

يقول عيسى لولا المدّ والجزر، لبقيت آثار خطوات أمّه دليلا على مأساة حياته.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص244، ص245.

(2) المصدر نفسه، ص245.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

حتّى عندما منح له شرف الجلوس معهم، في طاولة طعام الطاروف، لم تنظر له جدّته قطّ ولم تعره أيّ اهتمام، وكأنّه ليس موجودا أمامها أصلا،فيحكي لنا بمرارة وبحزن عن حاله معأول وجبة له معهم وكيف شلت يداه على أن تطال أي شيء أمامه من جمودهم وجفافهم إتجاهه رغم جوعه الشديد: "في وجبة الغداء الأولى، مع جدّتي وعمّتي وأختي، وجدتني غير قادر على وضع شيء في فمي (...) جدتي لا تنظر باتجاهي على الإطلاق وكأنني لست موجودا (...) طعام الفقراء كان لذيذا لأنّ ملحه وتوابله في الحميمية الّتي تجمعنا حوله. طعام الأغنياء لا طعم له مع الوجوه الصّامتة"[1].

لم يحس عيسى قطّ،بتلك الألفة العائلية، أحسّ بذلك الحاجز، الّذي كان بينه وبينهم بذلك البرود والجفاف، من كلّ ما يحيط حوله، حتّى عاد بذاكرته إلى عائلته الفلبينية الفقيرة، الّتي تسودها تلك الحميمية رغم الفقر والبساطة الّتي يعيشونها، أراد عيسى التقرب من جدّته بأيّ شكل كان، فعندما رآها تعاني من خشونة في ركبتيها، طلب منها تدليك ساقيها باعتباره كان عامل تدليك. حتّى تحسّ تلك الجدّة بالارتياح، فلمّا استحسنت ذلك و أشارت لا تنسى الرجل الثانية قال: "لو كان تدليك ساقيها يقرّبني إليها لقضيت عمري كلّه في هذا العمل"[2].

فقطيريد حبّها فيقول عن قلب جدّته، ذلك القلب المتحجّر الّذي لم يجد فيه ولو ذرة من الحنان: "ليتني أستطيع تدليكه، لعلّه يلين، لا أريد شيئا أكثر من ذلك"[3].

عيسى المسكين يستجدي عطف جدته، ولا يجده، يتمناه ويرجوه بكل الطرق والسبل.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص247.

(2) المصدر نفسه، ص251.

(3) المصدر نفسه، ص254.

الحديث لا يتوقف عن والده، أمه، خولة، غسان صديق أبيه، حيث أزعجه هذا الأمر كثيرا فيدلي بذلك في هذا الموضع: "شعرت بانقباض في صدري، لماذا عليّ أن أتعلق بذكرى هذا الرّجل أكثر؟ لماذا عليّ أن أحبّه أكثر؟ لماذا الآن وهو لم يعد هنا؟ لماذا أتعذّب من أجل رجل شاهدته في زمن ما قبل الذّاكرة؟ فخور به أنا بلا شكّ ولكنّ حزني بدّد كلّ شعور آخر"[1].

كل الحزن والأسى على أناس يراعون حقّ الميّت فيما يعجبهم، ولا يراعون حقّ الحي، ظلما هو ما مارسوه على عيسى، وضغط كبير، حيث يريدون زرع حبّ والده في قلبه دونما إحساس به هو، لما سيعيشه ويقاسيه من هذا الفعل، لم يعلموا أنّ الحبّ بذرة تنمو لمّا نسقيها بالاهتمام والمراعاة والحضور، ولكنّها تموت وتذبل بالإهمال، وبالتّعامل بالسّيئ من التّصرفات، في زيارة عيسى إلى المقبرة وجد الحيرة في وجوه النّاس تجاهه قد عمّت لوجوده في مثل هذا المكان، حيث قال متذمرا من شكل وجهه، الّذي كان سبب مأساته دوما وأبدا، وسبب رفض أهله له:"تبّا لهذا الوجه تعددت أسمائي وبقي وجهي صامدا كما هو يثير دهشة النّاس من حولي"[2].

عيسى يعاني معاناة كبيرة في بلد أبيه، بسبب وجهه يشمئزون منه، ويتعجّبون من وجوده في أيّ مكان تدوسه قدماه، فعند ذهاب عيسى لزيارة قبر أبيه فمن فرط حزنه لم يستطع أن يتمالك نفسه فقد انفجر باكيا عليه، باثّا له كلّ لواعج قلبه ومكنونات صدره الّتي لم يستطع أن يعترف بها لأحد سواه فيقول: "جلست على التراب إلى جانب القبر (...) أطبقت قبضتي على حفنة تراب بابا (...) وجدتني أختنق بالكلمات (...) الدّموع انسابت من عيني بسخاء مسحتها بكفّي المتربّة استحالت دموعي على وجهي

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي ، ص251.

(2) المصدر نفسه،ص252.

نشيجي غلب قدرتي على الكلام، لم أقو على قول شيء، لم أقل له أنّني أحبّه وأحتاجــه، أنا منبوذ، جــدّتي متوّرطــة بي وعمّــاتي لا يعــترفن بوجودي ،أنا وحيـد أنا ضعيف، لم أقو على قول ذلك (...) مادام غير قادر على فعل شيء"[1].

عندما وقف عيسى بجانــب قبر والده، نحب نحيـبا مريرا على قبر ذلك الوالد الظالم، الّـذي أتى بهإلى الوجود بسبب نزوة وتركه يتخبط مع مصارعة مصير مأساوي أكبر منه.

ورغم حبّ أخته خولة له، واعتنائها به، ووقوف غسان سندا له، إلاّ أنّه لم ينفك يحسّ بتلك الوحدة، فوجودهما بجانبه لم يغنه عن أهله فهاهو يدلي بذلك:"علاقتي الجيّدة بخولة وغسان لم تبدّد إحساسي بالوحدة، شيء يشبه الحاجز ينتصب فيما بيننا وإن كان حاجزا مليئا بالثّغرات"[2].

يعبّرعيسى في هذا المقطع عن إحساسه الفضيع بالوحدة؛ فالوحدة قد لا تعني وجود أشـخاص في حياته، وإنّمـا تعني انعدام الحبّ والألفة ،ذلك الذي كان يحسّـه عيسى في بيت أبيه ما دفعـه هذا الإحسـاس إلى أن يتّخذ من الخدم أنيسالـه، حتى الخـدم كان يحدثهم خفية خوفا من عائلته ويتجلّى ذلك في قوله: "إذا ما أصابني الضّجر في بيت جدّتي، وكثيرا ما يفعل كنت ألتقي الخدم خلسة في المطبخ نتبادل الحديث بحذر"[3].

يصـف عيسى فـي هذا المقطـع حالـة الضّجـر التـي مرّ بها، والّتي دفعته لتبادل أطراف

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص252، ص253.

(2) المصدر نفسه، ص251.

(3) المصدر نفسه، ص262.

الحديث مع الخدم، حتّى يحسّ بوجوده كإنسان،حتّى يملأ ذلك الفراغ، ففي منزلهم لم يكن كباقي أفراد المنزل،كانت غرفته تبعد عن غرف باقي أفراد العائلة،وكانت غرفته تسمى ملحقا، وكأنّه شيء أضيف إلى العائلة غصبا، فهو ملحق كغرفتهالنائية عن الجميع، كان يراقب أهله وهم يجتمعون، وهو منبوذ غير مرّحب به بينهم ويسرد لنا تفاصيل ذلك: "أنظر إلى عائلتي من منفاي في ملحق المنزل والحسرة تملأ قلبي، لو أنني كنت معهم لكفاني ذلك، أصواتهم، على بعدها ترتفع، تصم آذاني الضّحكات و الكلمات"[1].

نلاحظ في هذا المقطع حسرة، وألم، ومعاناة عيسى في المنفى، حيث يكابد الحرمان منالأجواء الحميميّة وسط العائلة، عاش غريبا منبوذا وسط أهله، فها هو يخبرناعن حاله: "بكيت كما يبكي الأطفال أمام زجاجة صغيرة ملأت نصفها بتراب أبي الّذي حملته معي يوم زيارتي إلى المقبرة أنظر إلى الزّجاجة وكأنّني أطلب من التّراب أن يشهد على ما يجري"[2].

يعيش عيسى مأساة حقيقية، شعور النبذ، والحرمان، والوحدة، جعله يتخذ من أبسط الأشياء عزاءا له، ونجده في هذا المقطع يجعل من تراب قبر أبيه شاهدا على ما يعيش من مأساة.

إثر المآسي الّتي تعرّض لها خوسيه في حياته من فقر وتهميش وظلم وإهانة وتحقير، وازدراء من طرف أهله خصوصا، والجميع عموما،صار يتمنّى لو يستبدل دماغه بدماغ أخيه، الّذي أصبح دائما غائبا عن الوعي إثر حادث تعرّض له

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص264، ص265.

(2) المصدر نفسه، ص267.

ولم يعد يفقه شيئا فيقول: "أدريان أخي الصّغير ليت بمقدورنا أن نتبادل الأدمغة"[1].

فمن فرط معاناة عيسى وألمه، صار يتمنّى فقط لو يفقد إحساسه هذا، الذي هو سبب معاناته، فقد كان حتّى في مناسبة سعيدة، لا يمكنه الاجتماع مع أهله، والفرح معهم، فيحكي لنا تفاصيل سجنه يوم عيد في ملحق: "جاء عيد الفطر يوم أول أمضيته خلف السّتارة في غرفتي أتلصّص على زوار عائلتي المتوّرطة بي، لم يسأل عنّي أحد ولم أتلق تهنئة من شخص، أبناء عمّتي يرتدون الثّياب التّقليدية مع أغطية الرّأس مثل الرّجال الخدم كانوا يحتفلون بالمناسبة، كنت في غرفتي وحيدا"[2].

مسكين هو عيسى الكلّ يحتفل بمناسبة العيد حتّى الخدم، إلا هو وحيدا مختبئا في غرفته كالجرذ، لعلّ أحدا يكتشف أمره يخبرنا بذلك هنا: "بعد انصراف المهنئين بالعيد طرقت خولة باب غرفتي ألن تدخل لتهنئ ماما غنيمة؟ انفلتت الكلمات من بين شفتي من دون سيطرة مني: بعد أن رحلالجميع؟ بعد أن اطمأنت إلى أن أحدا لن يقابل وجه العار؟ كنت أشير بسبّابتي نحو وجهي. خولة قلت لها بانفعال لماذا؟ يعاملونني بهذه الطّريقة؟"[3].

يلوم عيسى أهله على معاملتهم له بهذه الطّريقة المهينة، حيث يقول لأخته، كلّ الدّيانات تحثّ على المعاملة الحسنة، المسيحيّة، البوذيّة، وحتى دين الإسلام كذلك، كيف لا ألاقي أنا مثل هذه المعاملة.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص273.

(2) المصدر نفسه، ص274.

(3) المصدر نفسه، ص275.

3/ الظلم والشعور باللاجدوى:

بعد قرار عيسى الرّحيل من بيت جدّته خوفا من أخذ إيمان لابنتها خولة، لتعيش عند جدّتها، لأمّها لأنها لا تريد لابنتها أن تعيش مع أخيها، اتّجه غصبا إلى صديقه ابراهيم سلام الّذي تعرّف عليه في المسجد، ثم إلى شقّة في الجابرية، استأجرها، وقد أحسّ اثر هذا الفراق الّذي حصل بينه وبين عائلته، إلى شقّة فارغة دفأ، حنانا، أشخاصا مع المال الّذي زودته به الجدّة والعمّة بإحساس قاهر يذلّ تلك النفس ويحقّرها فيجسد ذلك في قوله:"لأوّل مرّة أشعر باللاجدوى، حلمي القديم، الجنّة التي وعدت بها، سفري، المال الّذي بات يفيض عن حاجتي، ماذا بعد؟ في بلاد أمّي كنت لا أملك شيئا سوى عائلة في بلاد أبي أملك كلّ شيء سوى عائلة"[1].

نلمس جليا من هذا أنّ عيسى صار يحتقر نفسه، أحسّ أنّه لا قيمة له، في عالم مثل هذا وأنّه وحيد، دون عائلة نظير المال الّذي كان بحاجته من قبل، في الوقت الّذي كان يمتلك فيه عائلة، صار القدر عكس عيسى الذي كان يحتاج المال، عندما كان يمتلك العائلة، وفي الوقت الذي إمتلك المال، إفتقد تلك العائلة.

يقرّ عيسى ويعترف، أنّه مهما أعطاك الإنسان من عطايا وهدايا دون كلمة حبّ فلن تحسّ بقيمتها، أمّا إذا ما صاحبها حبّ وابتسامة فهذا له طعم آخر، وقد تستطيع تقديم الشكر لصاحبها بكلّ فرح، والعكس فيقول: "العطاء دون حب لا قيمة له الأخذ دون امتنان لا طعم له. هذا ما اكتشفته"[2].

وهذا يعني لا قيمة لشّيء مهما كان ثمنه، دون حبّ، وحنان من صاحبه.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص303.

(2) المصدر نفسه، ص303.

يقول عيسى واصفا حال عائلته في الفلبين، وهي تتسلم أبسط الهدايا، وتسعد بها وقد ضرب لنا خالة مثلا:"مالي لا أسعد بهدايا عائلتي الكويتية كسعادة خالي بيدرو وبقداحة السجائر التي لا تتعدى قيمتها مئة فلس، وهو القادر على شراء المئات منها؟ هو الحب الذي يجعل للأشياء قيمة، في عزلتي هذه وجدتني أشتاق هناك إلى عائلتي بشكل مرضي حنين يتملكني"[1].

عيسى لم يحس قط بقيمة هدايا عائلته الغنية الكويتية، لأنّه لم يكن معها ذلك الحب الذي يجعله يراها أجمل مما هي ولو كانت بثمن بخس، وهنا يشده حنينه إلى عائلته في الفلبين.

يحاول عيسى قدر الإمكان إيجاد وسيلة تمكنه من التعامل مع الكويتين ولو بأبسط شيء فكانت تحية الإسلام،السلام عليكم فيقول: "السلام عليكم، ما أجمل هذه التحية فتحت لي منفذا، وإن كان صغيرا، لتبادل شيء مع الكويتيين، ولكن الكويت كلّما أحكمت قبضتي على طرف ثوبها فلتت من يدي، أناديها تدير لي ظهرها أركض إلى الفلبين شاكيا"[2].

يصرح عيسى قائلا كلّما حاولت الولوج إلى الكويت رفضتني، وأعرضتعني، فألجأ إلى ملاذي الفلبين، باثا لها كل حزني وكل ألمي، كما كانت ملجأه الأخير بعد خروجه من الكويت نهائيا .

إحساس عيسىبعدميته في الكويت وألاّفائدة ترجى منه، جعله يقول: "قدمت للمجانين خدمة لعلّها أهم ما قدمته لهم (...) إذا ما اجتمعوا، لأنهم بحضوري فقط

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص304.

(2) المصدر نفسه، ص304.

يتمكنون من لعب الورق، لعبتـهم المفضلـة، الـتي تحـتاج إلى ستـة لاعـبين، قـد يبـدو الأمـر تافها، ولكن لأول مرّة في الكويت أشعر بأهمية وجودي، وإن كان ذلك تكملة عدد للعب الورق"[1].

أراد عيسى المنبوذ، والمهمش، من طرف الجميع ،أن يحسّ بوجوده حـتّى ولو كان ذلك تكملـة عـددفي لعبة ورق، وهذا لإحساسه بأن لا قيمة له، ولا معنى لوجوده في هذا البلد، الذي يرفضه فيه الجميع.

يحكي لنا عيسى حادثة مؤسفة جرت له في الكويت ناتجة عن جهله للغة العربيّة ولفظاظة الشّرطة الكويتية خصوصا، والعرّبية عموما، والتّسرع في اصدار الحكم بالقبضفيسرد لنا تفاصيل تلك الحادثة التي حزّت في نفسه كثيرا:"خلف قضبان غرفة الحجز في مركز الشّرطة مكثت ليلتين، إذا ما اعتمدت في ذلك على استخدام الساعة أما شعرت به اتجاه الوقت فقد كان يفوق ذلك بليال كثيرة، برد يناير الجاف يخدر الأطراف ويخترق العظام الوجوه الهادئة، الكلّ يعرف ماينتظره عداي، لست أدري إلام سيطول حجزي في هذا المكان"[2].

يتساءل عيسى وكلّه حسرة و ألم، عن مصيره المجهول حتى وهو خلف قضبان السجنيجهل مصيره، فكأنّ أمّه قذفته إلى الحياة ليعيش المجهول في كلّ شيء،فعند خروجـه من السّجن يتلقى خبر إشاعـة انتحار ابنـة خالته، فيصف حزنه العظيم إثر ما يكنّه لها من مشاعر،وجرّاء الصّدمة التي تلقّاها والتي عجز فيها عن البكاء، وعمّاكان فـي حـاجتـه فـي تلك اللـحظـة:"بـعض العـائـلات ذات الأصـول الصّينية البوذيّة

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص355.

(2) المصدر نفسه، ص317.

في الفلبين، يقومون باستئجار أناس يبكون موتاهم، (...) أنا بعد قراءتي لرسالة ميرلا احتجت لإقامة طقس كهذا، احتجت أن تضج شقّتي بالبكاء والنّحيب"[1].

جرّاء ما يعتمر صدره من يأس وأسى، من الصّدمة الّتي تملكته إثر هذا الخبر المفزعوالذي هزّ كيانه ووجدانه، لم يستطع أن يذرف ولا دمعة، لذلك احتاج إلى من ينوب عنهلعلّهم يساعدوه على إخراج ما في قلبه من ألم موت ابنة خالته كما يظنّ، ولخذلان أهله له، ولكل شيء، وللمعاملة السّيئة، الّتي لاقاها، ذلك النّبذ، ذلك الحرمان، ذلك الذلّ ذلك الازدراء، ذلك الاحتقار والهوان.

4/صدمته في الكويت ورحيله منها:

يحكي عيسى معاناته من أهله، وكيفية معاملة النّاس له في الكويت، ومالحقه منهم من أذى، وذلّ، وكيف أصبحت الكويت في نظره بعد ما عاش فيها، وفهمهاعلى حقيقتها: "الكويت (...) حقيقة مزيفة أو زيف حقيقي (...) للكويت وجوه عدّة (...) غربتي الّتي أكره (...) الكويت هي خذلان أبنائها لي بنظرتهم الدّونية، الكويت هي غرفتي في ملحق بيت الطاروف (...) هي زنزانة مكثت فيها يومين من دون ذنب (...)نورية الّتي تكرهني وترفض الاعتراف بي (...) مجتمع يشبه بيت الطاروف مهما اقتربت منه أو سكنت إحدى غرفه أبقى بعيدا عن أفراده"[2].

أفرغ عيسى كلّ مكنوناته اتجاه الكويت وأهلها، أخرج كلّ ما يحسّ به، لم يعد يفهم هل يحبّها أم يمقتها، هل هم أهله، أو هو مجرّد شيء، كما كانت دائما تنعته جدّته الكويت لم تكن مأوى له، ولا ملاذاكما كان يعتقد، كان ألما جديدا أضيف إلى باقي آلامه

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص392.

(2) المصدر نفسه، ص324.

كانت عبئا ثقيلا أضيف لما قاساه طيلة حياته.

خرج عيسى من بيت جدّته ليدخل إلى الكويت باحثا عن عمل، ليعيش كغريب يريد تأمين مستقبله ليس ككويتي له أهل، وعائلة: "انصرفت للبحث عن عمل سوف أعيش في الكويت كأي فلبيني مغترب يكابد لتحقيق أحلامه. في الفلبين كنت أنتظر تحقيق حلمي في الكويت، عدم اتمام دراستي حال دون حصولي على عمل في شركات القطاع الخاص (...) بعد بحث مضنحصلت على وظيفة في أحد مطاعم الوجبات السريعة"[1].

انقطاع عيسى عن الدّراسة، حال دون الحصول على وظيفة مناسبة سواء كان في الفلبين أو في الكويت، وهذا كان سببا من أسباب مأساته أيضا، حيث لم يستطع العمل في وظيفة ترضيه، أصبح عيسحينما يريد كتابة شيء، أو البوح بمّا يحسّه اتجاه الكويت، يكتب كلمة لديهم لا شعوريا، بعد ما كان في البدء يكتب لدينا، لأنّه أدرك أخيرا أنّه ليس منهمّ استوعب الحقيقة المرّة، حقيقة كانت غائبة عن ذهنه، أنه ولدهم بالأوراق فقط لا غير، ولو كان في وسعهم لحذفوه من تلك الأوراق، و يظهر ذلك في: "لديهم؟ لماذا لديهم بدلا من لدينا"[2].

أدرك عيسى مكانته الحقيقية سواء عند أهله، أو في الكويت، هذا ما جعله يكتب تلقائيا ودون إرادة منه كلمة لديهم، نطق القلب قبل العقل.

لم يكن بالأمر الهيّن على عيسى التّأقلم أو العيش في وطن لا يعرف عنه شيئا لكنّه حاول ذلك بحصر حبّه في أشخاص معيّنين: "كان من الصّعب عليّ أن آلف وطنا

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص330، ص313.

(2) المصدر نفسه، ص339.

جديدا حاولت أن أختزل وطني في أشخاص أحبّهم فيه. ولكنّ الوطن في داخلهم خذلني خذلني موت أبي (...) جدّتي وحبّها القاصر، ضعف عمّتي عواطف، رفض نورية صمت هند واستسلام أختي.من أين لي أن أقترب من الوطن وهو يملك وجوها عدّة. كلّما اقتربت من أحدها أشاح بنظره بعيدا"[1].

لقى عيسى الخذلان من طرف الجميع، وإذا لاقى الإنسان الخذلان ممن حوله، هذا يعني أن الوطن أيضا خذله، وإن خذلك الوطن فشد رحالك وأرحل.

جرت الانتخابات الّتي كانت سبب مأساته، وذلك بالرّحيل من الكويت نهائيا.حيث كان أصدقاء عيسى الكويتيون الّذين التقى بهم في الفلبين، يتناقشون ويبدون آراءهم فيما يجري وفي هذه الجلسة يسألهم عيسى عن ذلك المترّشح الرّابع الذي لا يعلّق صورته وإذبإجابة صديقه تفاجئه فيبوح بذلك السر المحظور، دون تفكير منه:" هند الطّاروف عمّتي عقدت الدّهشة لسان الجميع (...) اعتدل جابر في جلسته (...) دهشتهم جعلتني أندم على تصريحي المتسرع (...) مدّيده مصافحا (...) وأنا جابر ابن جارتكم أم جابر (...) ماتوصّل إليه صديقي انتقل إلى أمّه، ومن أمّه إلى البيوت المحيطة (...) لو أنّني التزمت الصّمت"[2].

فهذا التّصريح كان سبب مأساة عيسى الكبرى، فبسببه حولت عمّته حياته إلى جحيم فقد جعلت جدّته، وعمّته هند، يمنعان عنه مصروفه الشّهري فيقول: "نورية تتهدّد تتوعد تشتم تصرخ (...) صدقت فيما حذّرت منه، نفذت تهديدها، توقف جدّتي عن صرف راتبي لميكن أمرا مستبعدا، ولكن أن تفعل عمّتي هند ! "[3].

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص304، ص305.

(2) المصدر نفسه، ص365، ص366.

(3) المصدر نفسه، ص373، 379.

دفعته حاجته للمال أن يترك شقّته،نظرا لإيجارها الباهض، وينتقل للعيش في غرفة صغيرة وضيقة، مع صديقه إبراهيم سلام، فعمته لم يكفها كلّ ما فعلته فقد ساهمت في طرده من المطعم أيضا يقول في هذا: "لم يمض أسبوع واحد على انتقالي إلى غرفة ابراهيم حتّى أبلغني رئيس الوردية في المطعم: تدبّر أمورك، هذا آخر أسبوع لك في العمل ما السّبب؟ لا سبب أوجدت لنفسي سببا الكويت تلفظني"[1].

طرد عيسى من عمله جعله يقرّر الرّحيل، والعودة إلى الفلبين، لأنّ في نظره الكويتتطرده وذلك عند خذلان الجميع له وحين تحطم الحلم، وعندما أوصدت كل الأبواب في وجهه أحسّهاأضيق من علبة ثقاب، ليس هو أحد أعوادها، يعني ليس هو فردا منها حيث يدلي بذلك: "ضاقت الكويت فجأة أصبحت بحجم غرفة إبراهيم، ضاقت أكثر أصبحت بحجم علبة ثقاب، لم أكن أحد أعوادها. تذكّرت كلمتهم المتداولة الكويت صغيرة"[2].

جرّاء الخيبة الّتي تلقاها عيسى، قرّر العودة إلى البلد الّذي تربّى، فيه لكنّه نظرا للظروف الصّعبة التّي مرّ بها، لم يكن يملك حتّى ثمن تذكرة طائرة، فيقول متألما: "لا شيء يحفزني على البقاء في بلاد أبي مدّة أطول، ولكنّني لا أملك حتّى ثمن تذكرة الطّائرة للسّفر إلى بلاد أمّي أنا في حيرة"[3].

مسكين عيسى ابن أغنى عائلة في الكويت، لا يملك حتى ثمن تذكرة طائرة للعودة إلى وطنه الحقيقي، بعدما انجلى أمام ناظريه، ما هو وطنه الأصلي.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص380.

(2) المصدر نفسه، ص383.

(3) المصدر نفسه، ص3859.

ويصف عيسى متأسفا يوم رحيله وعودته إلى بلاد أمه الفلبين، هاهو عيسى عائدا يجر أذيال الخيبة وراءه: "في آخر يوم لي في الكويت، كان المطار حزينا وإن كان لا يشبه الحزن الّذي شاهدته يوم وصولي، ليست الأعلام منّكسة وليست كراسي المقاهي مقلوبة على طاولاتها (...) عند بوابة المغادرة حاملا جوازي الأزرق (...) أدرت ظهري للجميع متجاوزا بوابة المغادرة (...) تركت الكويت"[1].

يحكي لنا عيسى عن الحالة التّي هو فيها، فقد كان في حزن عميق، مأساته لوحده؛ مأساة فرد ولم تكن مأساة وطن بأكمله كما حدث يوم وصوله، عيسى لم يحزن عندمغادرته الكويت لأجله أحد، تألّم لوحده، بكى لوحده، ليس كما يوم وفاة أمير الكويت، حزن شعب بأسره لأجل ذلك الأمير.

ظلت مأساة عيسى قائمة بخصوص إسمه طوال عمره، وذلك نظرا لما مرّبه من شتات في الأسماء: خوسيه، جوزيه، هوزيه، عيسى، فإنّه عندما عاد للفلبين وتزوج ابنة خالته أنجب ولدا اختار له اسما واحد هو راشد، اسم أبيه حيث يخبرنا عن قصة اسم ابنه:"أرادتميرلا أن تسميه Juna كنت أوشكت على الموافقة لولا أنّني تذكرت أنّنا ننطقه في الفلبينية كما في الإنجليزية هوان، وفي البرتغاليه جوان، وفي العربية كما هو في الإسبانية خوان. اعتذرت لميرلا أن أطلق على ولدنا كل هذه الأسماء، لأن اسمه قبل مولده راشد"[2].

بقيت مأساة عيسى في الاسم تلازمه طول حياته،فقد كان حريصا عند انجابه ولدا أن لا يعاني المأساة الّتي عاناها هو مع شتات الأسماء.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص394.

(2) المصدر نفسه، ص395.

وبعد مدة من الزمن جرت مباراة بين المنتخب الفلبيني، والكويتي، لم يستطع خوسيه احتمال الوضع حيث لم يحتمل أن يخسر أي واحد فيهم فيقول في هذا: "النتيجة حتّى الآن مرضية بالنسبة لي المتبقي من زمن المباراة يزيد عن نصف ساعة لا أريد أن أخسرني أو أكسبني بهذه النتيجة أنا متعادل"[1].

وفي خضم هذا كله انسحب عيسى لكي لا يتألم لخسارة أي من الفريقين، لأنّه عيسىالكويتي وخوسيه الفلبيني، هذا هو عيسى المقسوم نصفين.

وهكذا فقد تبين لنا من خلال تجربة عيسى أن الوطن ليس الّذي نولد فيه فقط، بل الوطنالّذي نعيش فيه ونشرب من مائه، ونشم ترابه، ونكتب على حيطانه، ويحضننا بكل خطوة نخطوها، ويتلقف ويحتضن آلامنا وأحزاننا، آمالنا وأحلامنا، فقراء كنّا أو أغنياء من ذوي طبقة أو من غير، ضعفاء أو أقوياء، هذا هو الوطن الحقيقي، الذي نستطيع ويستحق فعلا أن نطلق عليه كلمة وطني وليس الوطن الذي يلفظني ويهينني، ولا يقبلني بالصورة التي أنا، عليها.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص396.

الفصل الثّاني: الزمن، المكان المأساوي والبواعث المأساوية

I- الزّمــن المأســاوي.

1- مفهــومــه.

2- ميــلاد البطــل.

3- وفــاة والــده.

4- طـــــرده.

II- فــي مــاهـيــة الـمكــان.

1- مفــهــومــه.

2- مكــان مأســاة البطــل.

أ- فـــي الفـلبيــن

ب- فـــي الكويــت

III- البواعــث المأساويـــــة:

1- الزّواج العــرفــيّ.

2- الطّــبــقــيــة.

3- التّــطــيـــر.

I/ الزمـــــن المأســـاوي:

1/ مفهـــومـــــــــه:

من الصعب أو بالأحرى من المستحيل، القيام بأيّ عمل روائيّ من دون عامل مهم، ومهم جدا أيضا هو: الزّمن والّذي يعتبر بمثابة الركيزة الأسّاسية الّتي يرتكز عليها أيّ عمل روائيّ، أو العمود الّذي يستند عليه، لبناء ذاته أو لتجسيد كيانه: "ذلك أنّ الزّمن في الرواية (...) هو الشّخصية الرئيسيّة وإذا كانت الشّخصيات الرّوائية تنمو وتكبروتتحرك وتضطرب، ثم تشيخ وتهرم (...) فإن الزّمن لا يشيخ ولا يهرم، بل يستمر مع كلّ الأجيال والأحقاب"[1].

ومن هـذا المـقـام يـمـكـننا الـقول: أن الشّخصية قـد يـظهر عليها من التغيرات ما يظهر وفي الأخير فإنها تموت، أو تنتحر، أو تختفي حتّى، لكن الزّمن مهـما تـغـيّر فسيعاود الظهور من جديد، يعني إن ذهب صباح يعاودنا صباح آخر جديد،وإن ذهب مساء يعاودنا مساء غـيره، وهكذا دواليك.

هذا هو الزّمـن حـاضر دوما وفارض وجوده في كلّ شيء ، وهو العنصر الّذي لا يمكن الاستغناء عنه أبدا، وهو الموجود في كلّ وقت، وحين هو الساعة، الدقيقة الثّانية، هو قبل، بعد، هو الآن.

"فـالأحداث تـسير في زمـن، الـشّـخـصـيات تتحرك في زمن، الفعل يقع في زمن، الحرف يكتب ويـقـرأ في زمن، ولا نص دون زمن"[2].

---

(1) شعرية الخطاب السردي: محمد عزّام، منشورات اتحاد كتاب العرب، دط، دمشق، سوريا، 2005، ص104.

(2) بنية الزمن في رواية شرفات في بحر الشمال لواسيني الأعرج: نصيرة زوزو، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة.

فمن المستحيل أن يقوم قائم لأيّ من أحداث، أو شخصيات أو فعل أو حرف أو نص دون أن يكون هناك زمن تسير وفقه وتتحرك خلاله وتقرأ وتكتب فيه.

لا يمكن أن يكتمل أيّ نص روائيّ مهما كان حجمه قلّ، أو كثر، من دون الزّمن هذا الّذي يمثّل الماضي، والحاضر، والمستقبل، إذن:"يعد الزّمان أحد المكونات الحكائية الّتي تشكل بنية النّص الرّوائيّ، وهو يمثّل العنصر الفعّال الّذي يكمل بقية المكونات الحكائية، ويمنحها طابع المصداقية"[1].

فالزّمن هو الّذي يبث تلك الحيوية في النّص، والّتي تكون أساسها تلك الإثارة والتشويق.

كما: "يمثّل الزّمن عنصرا من العناصر الأساسيّة الّتي يقوم عليها فن القّص (...) هو أكثر الأنواع الأدبيّة التصاقا بالزّمن"[2]. نستطيع أن نقول مما سبق أن الرواية هي رواية زمن.

وقد قامت الدكتورة سيزا قاسم، بتوضيح أهمية الزّمن الكبرى في العمل الرّوائيّ: "ليس للزّمن وجود مستقل نستطيع أن نستخرجه من النّص مثل الشّخصية أو الأشياء الّتي تشغل المكان أو مظاهر الطّبيعة، فالزّمن يتخلل الرّواية كلّها ولا نستطيع أن ندرسه دراسة تجزيئية، فهو الهيكل الّذي تشيد فوقه الرّواية. ومن هنا تأتي أهميته عنصرا بنائيا، حيث يؤثر في العناصر الأخرى وينعكس عليها. فالزّمن حقيقة مجرّدة سائلة لا تظهر إلاّ من خلال مفعولها على العناصر الأخرى"[3].

---

(1) البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله: أحمد مرشد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص233.

(2) بناء الرواية: سيزا قاسم، وزارة الثقافة، د.ط، القاهرة، مصر، 1978، ص27.

(3) المرجع نفسه، الصفحة 38.

لا يمكن استخراج عنصر الزّمن لوحده دون باقي العناصر الأخرى، لأن الزّمن هو بمثابة الجسد الّذي تنشأ منه الرّواية فهو يؤثر في كل من حوله.

2 /ميلاد البطـل:

هذا اليوم كان مجيء خوسيه إلى العالم، اليوم الّذي يعتبره يوم مأساته، يوم ألمهوآساهومعاناته، اليـوم الّذي يتمـنّى فيـه لو أنه كان الأمر بيده، لما أتى أصلا إلى الوجود:"يوم الأحد الثالث من أبريل 1988 (...) حملـني والـدي بين يديه، أخذ يتفحص وجهي طويلا علّه كان يبحث عن شيء واحد فقط يشبهه، ولكن الأكيد أنّه كان يشاهد وجـها برقـع مأخـوذة من وجوه شتى لـم يكن وجهه من بينـها كانت ملامحي خليطا من أمّي وخالتي آيدا وجدّي"(1).

كان هذا سبب مأساة عيسى الفعلي الوجه الفلبيني البحت، في الوسط الكويتي الظالم لم يستطيع أحد تقبله حتّى أهله؛وهذالكي لا يفتضح أمر زواج ولدهم بخادمة فلبينيّة، وفي هذا اليوم بالذّات أخذه والده راشد، ظانا منه أنّها ستأخذه والدته بالأحضان وستصغي له الآذان باعتباره أنجب ولدا ذكرا، لكن حدث مالم يكن في الحسبان:"بعد دقائق (...) توقفت السّيارة عند الرصيف المحاذي للبيت.ترجلت منها أربع نساء دقّت إحداهن الجرس... فتحت الخادمة. لم يستمر الأمر طويلا. ما إن اختفين خلف الباب الرّئيسي حتى فتح باب المرآب في جانب البيت، ليظهر أبي حاملا إيّاي بين يديه متقدما نحو السّيارة يلفه الصّمت"(2).

ولكن الصّدف كانت عكس عيسى،كما هي دوما، في ذلك اليوم بالذّات أتت الخاطبات

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص49.

(2) المصدر نفسه، ص49.

ليرين عمته، وكان على الجدّة أن تطرده، وتخرجه من الباب الجانبي، حتّى لا يفتضح الأمر، وتفسد خطبة ابنتها الكبرى عواطف.

ثم مرّة أخرى تشاء الصّدف أن تظلم عيسى حيث تحكي له والدته ما جرى: "بعد يومين من مولدك، سافر الاثنان، غسان ووليد، وليتهما لم يفعلا ! انشغل النّاس في الكويت آنذاك، بأمر اختطاف طائرتهم المتجهة إلى تايلاندا، غسان ووليد كان من ضمن ركاب هذه الرحلة (...) فوبيا الطيران، وجدت حليفا يساعدها على قتل وليد"[1].

وهذا كان له وقع كبير على والد عيسى،فقدحزن حزنا عظيما، وبالمقابل كان له أثر على الجدّة غنيمة، حتى اعتبرته مصدر شؤم ،ولم تتقبله أبدا، وطلبت من ولدها إذا كان يريد رضاها فليتخلّ عن ذلك الشيء.

بعد عودته ووالدته للفلبين، يصف عيسى المسكين ،حالة الجوع الّتي يقاسيها، ممّا اضطره الأمر إلى أن يفكر في سرقة طعام عجوز مسكينة يتصدق عليها أهل الحي والّذي لم يكن يعرفه أن هذه العجوز هي أم جده ميندوزا الّتي يكرهها ،ولا يكلّمها قط.

وقد عرف كل ذلك بعد وفاتها: "كنت في السابعة من عمري حين مررت أمام منزل إينانغ تشولينغ، ذات يوم متجها إلى بيتنا عائدا من المدرسة أتضور جوعا شاهدت إحدى نساء الحي (...) تضع الطبق اليومي على الأرض (...) رأيت نصف دجاجة تستلقي (...) دفعني جوعي للتقدم (...) تقلصت أمعائي (...) قفزت (...) لأحكم قبضتي الصغيرة على نصف الدجاجة المستلقية في الطبق على الأرض لأجري بعيدا تاركا الطبق فارغا"[2].

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي ، ص50.

(2) المصدر نفسه ، ص69.

قام خوسيه بالاستيلاء على طعام العجوز، من شدة ذلك الجوع الّذي لم يعد يستطع تحمله، ولأنّه كذلك لا يوجد لديهم طعام في منزلهم، وذلك للفقر الشديد الّذي يعيشونهولكن هذا الفعل حزّ في نفسه وبقي ضميره يؤنبه لسنوات عديدة.

قد كان عيسى في بادئ الأمر؛ عندما تذكر له أمّه الكويت يبكي ولكن مع الفقر والجوع الّذي كان يعيشهما، صار يتوق لذلك اليوم، الّذي يعود فيه: "مع صعوبة الحياة، والصورة التّي كانت ترسمها لي أمّي عن الجنّة الّتي تنتظرني، أصبحت أنتظر ذلك اليوم الّذي سأصبح فيه غنيا"[1].

كان عيسى يعيش في الأوهام؛ باعتقاده أنّه سيصبح غنيا عند عودته إلى بلد أبيه وبضغطة واحدة على زر من الأزرار، سيكون له كلّ ما يريد، ولكن لم يكن ذنب عيسى بل كان ذنب والدته الّتي أوهمته أن الكويت هي جنة الخلد، وسيجد فيها كلّ ما يشتهي: "كنت إذا ما انبهرت لمشاهدة إعلان لسيارة باهظة الثّمن، تقول والدتي: ستحصل على واحدة مثلها يوما ما إذا ما عدت إلى الكويت، وإذا ما أشرت نحو شيء في السوق لا تستطيع أمّي شراءه، تقول في الكويت ...هناك سيشتري لك راشد واحدا مثله"[2].

إذكاء الأشياء بداخلنا، هو الخيبة بحد ذاتها، هذا ما حصل لعيسى عند ذهابه للكويت، خاب أمله، وهذا لتضخيم أمه الأمور هناك أكثر من المعقول.

سئم عيسى وتعب من جدّه ميندوزا الّذي يكرهه، خاصة حينما ساءت حالته: "كانتأحوال جدي الصحية قد تدهورت في تلك الأثناء؟ تضاعفت طلباته، وازداد هذيانه

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص71.

(2) المصدر نفسه، ص71.

فـي ساعـات الليـل، أمـا سـاعـات الـتدلـيـك اليـوميّة فقد امتدت لساعات"[1].

قرر عيسى أن يتخلص من كلّ هذا، برحيله إلى مكان آخر بعيدا عن منزله لـيـعـمـل: "أمـام عـربـة مـوز فـي مـانـيـلا تـشـايـنـا تـاون، كنت أقضي نهاري كلّه، أحصل من عملي هذا على عمولة بيع وحسب تتفاوت بين يوم وآخر، ولكنّها، وحتّى في أيام السبت والأحد أكثر أيام البيع، لم تكن تساوي شيئا"[2].

رغم بـقـاء عـيـسى في هـذا الـعـمـل يـوما كاملا لـيتحصل على الأجـر المناسب إلاّ أنّ ذلك لم يجده نفعا،حتّى عمله في اليومين الأكثر مبيعا كذلك لم يفده، فقرر صديقه في العمل أن يأخذه كـي يشتغل عامل تدليك في مركز صينيي ولكن بعد انتهاء مدته اضطر للعمل في وظيفة تعيسة في جزيرة بوراكاي الّتي التقى فيها أصدقاء كويتيون وفي ذلك الوقت يتوفى جدّه.

3 / وفاة والده:

تلقى خبر وفاة والده في الأيام الأولى لوفاة جده:"سيكستو فليب ميندوزا (...) وفاة الحادي والعشرون من يونيو 2005 (...) ظهر أرنب أليس في اليوم الخـامس لوفـاة ميندوزا (...) قبل أسبوع، تسلمت عائلة الطاروف وفاة راشد من إحدى المقابر الجماعية في جنوب العراق، قال الأرنب (...) قبل تشييع ميندوزا بأسبوع واحد، كان الأرنب هناك يشيّع، هو الآخر صديقه بعد فراق دام خمسة عشر عاما"[3].

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص132.

(2) المصدرنفسه، ص133.

(3) المصدر نفسه، ص167، ص170.

لم يحزن خوسيه لوفاة جدّه ،بل حزن لفراق أصدقائه، الّذين ذهبوا بدونه إلى بلاد أبيه، ثم يئس بوفاة والده، لأن بموته مات أمله في العودة إلى أرض الأحلام، أو بلاد العجائب كما يسميها هو.كان حظ عيسى عاثرا مثل حظ والدته، لأنّه وصل في اليوم الّذي توفي فيه أمير البلاد، حيث وجد الكويت تعيش حالة غريبة إذ اندهش لمنظر المطار الحزين واصفا إياه:"مطار كئيب ذلك الّذي حطّت به الطائرة يوم الأحد الخامس عشر من يناير 2006، الوجوه تشبه مطارها كئيبة، بشكل لم أجد له تبريرا"[1].

فإثر هذا المصاب الجلل لأمير البلاد، آثر غسّان أو أرنب أليس كما يناديه عيسى أن يأخذه إلى شقته، بدلا من قصر جدّته، الّتي لن تتقبل وجوده أبدا في يوم كهذا.

بعد بقاء عيسى في شقة صديق والده شهرا كاملا، يأتي ذلك اليوم الموعود، ليقابل فيه الجدّة غنيمة: "في الخامس والعشرين من فبراير (...)في صباح اليوم التالي، بعد الحادية عشر والنصف بقليل (...) غسان (...) أوقف السّيارة أمام بيت جدّتي"[2].

لم يدخل عيسى بقي وحده في السّيارة، فقد دخل غسان بمفرده فلاقى الرّفض في المرّة الأوّلى، ثم بعد أيّام من تلك المحاورات والمناقشات العائليّة، وتمسك أخته به، فقد حاولت إقناع الجدّة الّتي لا ترفض لها طلب، ثم قبل عن مضض وهي الوحيدة الّتي كانت تزوره: "خولة كانت تزورني كل يوم، ولكنها لا تدخل غرفتي، تكتفي بالوقوف عند الباب، نتبادل الحديث لساعات أحيانا على هذه الحال، من دون أن يقترب أحدنا من الآخر، أثناء أحاديثنا أنا وخولة، كنت أستمع بين حين وآخر إلى صوت إنزلاق

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص185.

(2) المصدر نفسه، ص206.

النافذة العلوية في مجرى إطارها، كانت جدّتي غنيمة تطل من غرفتها، تراقبنا وتطمئن إلى أن خولة لا تدخل غرفتي"[1].

لم تعترف به جدّته كحفيد، لم تتقبله أبدا، منعته من الحديث مع الخدمومن الاقتراب من الأحفاد،أسكنته في ملحق وحيدا شريدا، حتى أخته كانت تمنعها من البقاء معه وحدها، لقولها الشيطان ثالثكما،لم يعط له أحد من عمّاته أيّ قيمة تذكرحتّى عمّته هند الّتي أغدقته بالعطايا والهدايا إلا أنّها لم تكن تكلمه ولا تهتم له أصلا وهما يقطنان في نفس البيت: "لم ألتق عمّتي هند سوى مرّات قليلة جدا، أغلبها مصادفة في فناء البيت الداخلي، وعلى ذلك فقد كنت أشاهدها بين حين وآخر على شاشة التلفاز تتحدث في أمور لا أفهمها"[2].

كان بمثابة ضيف بالنسبة لهم غير مرغوب فيه، فحينما كانتا عمّتاه نورية وعواطف يأتيان لزيارة جدّته ،كان عليه لزاما أن يخرج من المنزل: "لم أقترب منهم. كان الحل في خروجي من المنزل يوم الزّيارة حيث أصبحت الزّيارة العائليّة تتزامن مع زيارتي لغسان، يأتي ليأخذني من البيت. نتناول طعامنا في الخارج أو في شقته أحيانا"[3].

كان عيسى يخرج مع غسان حتّى لا يلاحظ زوجا عمتاه وجوده، ويثير لديهما أي ريبة أو شك، أو يحبس تماما كما حصل عند ذهابه معهم للبحر: "البحر جميل في الليل، وفي الحقيقة لم أره في وقت آخر كي تتسنى لي المقارنة، لأنّني كنت طيلة النّهار حبيسا في الغرفة الكئيبة أقتل الوقت بواسطة اللابتوب"[4].

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص243.

(2) المصدر نفسه، ص244.

(3) المصدر نفسه، ص244.

(4) المصدر نفسه، ص245.

لم يكن عيسى يتمتع كباقي أفراد عائلته بالعطلة الصّيفية، كان دائما مقيّدا في غرفته، غير مسموح له بالخروج نهارا، ومحظور عنه ذلك خاصة، إذا ما كانت نورية وأبناؤها الويل كلّ الويل له إن رأته، أو حتّى لمحته ستنهال عليه بوابل من الشتم والسب.

4/ طـــــــــــــرده:

بعد أيامهاتفت الجارة أم جابر،إيمان أم خولة، لتعرف من هو ذلك الفلبيني، الّذي يقطن بيت الطاروف، عندما رفض عيسى العمل عندها كخادم اذعانا لجدّته، فساورها ذلك الشّك ففهمت أم خولة الموضوع، فأتت لأخذ ابنتها، فهنا كانت مغادرة عيسى النّهائية من بيت الطاروف.

"مساء اليوم الثاني لعيد الأضحى، كان إبراهيم سلام ينتظرني في الخارج بسيارته،هممت أحمل حقيبتي، فتحت خولة باب الغرفة ولأول مرة تجاوزته (...) دخولها بهذه الطّريقة (...) وهي لم تفعل قط أربكني (...) لتجاوز أختي منطقة الحظر (...) ارتخى حجابها (...) أسقطته على كتفها (...) أحاطت جسدي بذراعيها (...) قالت سأفتقدك أخي (...) لأوّل مرّة تناديني بهذه الصّفة (...) حملت حقيبتي أطفأت أنوار الغرفة"[1].

رحل عيسى وكلّه أسى، وحزن، في يوم العيد الّذي كان من المفروض أن يكون فيه سعيدا بلباسه التّقليدي الكويتي الجديد، واتّجهإلى غرفة صديقه إبراهيم سلام، ثّم بعد أيام وجد له شقّة، انتقل إليها ، يصف الحالة الّتي آل إليها عندما بقي وحيدا:"أنا لم أخرج منذ ثلاثة أيام، أنتبه فجأة لوجودي في الشّقة طيلة ذلك الوقت، شيء يشبه الحداد كنت أمارسه من دون أن أشعر، كان حدادامن دون تتكيس أعلام، ومن دونأن تصطبغ وجوه النّاس في الخارج بلون الحزن الّذي شاهدته يوم وصولي.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص294، ص295.

كيف أمضيت كل هذا الوقت؟ أحاول أن أتذكّر. لم أشاهد تلفازا. لم أقرأ كلمة. لم أهاتف أحدا على الإطلاق. عدا التّفكير فيم كنت أفعل؟"[1].

كان عيسى حزينا إلى درجة كبيرة،حتّى أنّه لم يأكل، لم يشرب، لم يكلّم أحدا، لم يشاهد التلفاز فقط هو مستغرق في التّفكير، حزنه كان يخصّه، لم يحزن لأجله أحد،لم يأس لحاله فرد، أو يجد له أيّ سند، كان وحيدا، حرمانه من أهله في الفلبين، وخيبة أمله من أهله في الكويت، بعد قطع جدّته، وعمّته، عنه مصروفه الشّهري بأمر من نورية الّتي نغّصت عيشه، فقد قامت بإعطاء الأمر ليتمّ طرده من عمله،بحكم مكانتها العائليّة، ها هي حالته كيف أصبحت، بعد إفشائه السّر المحظور عليه البوح به:

"هذا فصل الصّيف (...) وجدتني وحيدا كما لم أكن في حياتي بلا عمل ولا سكن يخصّني. درجة الحرارة الّتي تتجاوز الخمسين من شأنها أن تذيبني (...) ماتت سلحفاتي. أصدقائي في سفر.

لقاء أختي مستحيل بعد انتقالها إلى بيت جدّتها لأمّها. أبي كما هو دائما، لا وجود له إلاّ في الصور. أمّي وأخي وماما آيدا في مكان آخر من الكرة الأرضيّة، وميرلا رغم إيماني بوجودها، لم تكن قريبة. أمّا غسان فقد أصبحت أتحاشاه خشية أن أزيد همّه همّا"[2].

رحل عنه الكلّ أصدقاؤه، أخته، والده موجود إلا في الذّاكرة، ماتت سلحفاته الّتي كانيفضي لها بكل مكنوناته، غسان كان يكفيه ما فيه من ألم، آن أوان العودة

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص303.

(2) المصدر نفسه، ص385.

إلى البلد الأصل؛ بلد الأهل والأحباب: "الكويت سنة أولى، كانت فكرة السّفر إلى الفلبين لزيارة بيتنا قد بدأت تتقافز داخل رأسي"[1].

بعد كلّ الخذلان والهوان؛ الّذي لقيه من الجميع قرّر الرّحيل إلى غير رجعة.

ترك بلد الوهم والزّيف، إلى البلد الحقيقي، حيث الأهل الحقيقيون: "تركت الكويت في أغسطس 2008. قبل حوالي ثلاث سنوات من اليوم (...) اليوم هو الخميس الثّامن والعشرون من يوليو 2011 الآن سوف تنطلق مباراة منتخب الفلبين ومنتخب الكويت ضمن تصفيات كأس العالم 2014 البرازيل"[2].

خرج خوسيه فعلا من الكويت، لكنّها لم تخرج منه بل بقيت تسكنه إلى الأبد.

الزّمن هو ذلك الشّيء الزّئبقي الّذي لا نستطيع الإمساك به؛ الزّمن هو ذلك الّذي لا نستطيع أن نصفه بأيّ وصف يليق به، هي تلك السّاعات الّتي ما إن وصلنا إليها حتّى فرتّ، هو ذلك الماضي الّذي لا يمكننا الاستغناء عنه، هو ذاكرتنا البعيدة هو الحاضر الّذي يمثّلنا في اللحظة نفسها، هو ذلك المستقبل الّذي نتوق لمعرفة ما يخبّئ لنا، الزّمن هو تلك السّاعة الّتي نعيشها، هي تلك الدّقيقة ،الثّانية، بحلوها ومرّها، هو ذلك الّذي لا نحسّ به حينما نكون سعداء، هو ذلك الّذي نحس به ونحن تعساء وبمدى طوله، وبتمدده في الحزن، وفي المأساة ونودّ لو ينتهي، وتنتهي معه كلّ المعاناة، هذا هو الزمن في المأساة.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص312.

(2) المصدر نفسه، ص394.

II- ماهيـــة المـــكان:

1/ مفهـــــوم المكـــان:

المكان هو ذلك الشيء الثّابت؛ الّذي نضع فيه كلّ خصوصياتنا، ذلك الّذي تقع فيه بعض الأحداث، هو: البيت، الغرفة...الخ، وهو ما نتشارك فيه بعض الأشياء مع غيرنا هو: الوطن الشّارع، ...الخ.

وللباحث ياسين النّصير ما يقول عنه: "المكان دون سواه يثير إحساسا بالمواطنة إحساسا آخر بالزّمن وبالمحلية، حتّى لتحسبه الكيان الّذي لا يحدث شيء بدونه، فقد حمّلهم الرّوائيون تاريخ بلادهم، ومطامح شخوصهم فكان وكان، واقعا ورمزا، تاريخا قديما وآخر معاصرا شرائح وقطاعات مدن وقرى حقيقية، وأخرى مبنية في الخيال، كيانا تتلمسه وتراه وكونا مهجورا أغرقته سديمات لا نهاية لها"[1].

فالمكان حسب الباحث ياسين النّصير: هو ذلك الحقيقي الّذي يستمدّ منه الرّوائي الواقع والأحداث الّتي جرت فيه ليضيف له لمسته الخاصة، وهو ذلك الخياليّ؛ الّذي ينسجه الرّوائي من ضمن بنات أفكاره.

وحري بنا القول أنّ المكان ليس حكرا على الأدب دون غير من الفنون فهو: "مرتبط بمعظم الفنون الأدبيّة وغير الأدبيّة، فالرّسام يحتاج إلى المكان، والموسيقي يحتاج إليه كذلك، كما أن المسرح لا يقوم إلاّ عليه، حتّى عبّر الباحث شكري عبد الوهاب عن المكان بأنّه يعني المسرح أو دار العرض المسرحي"[2].

---

(1) الفضاء في الرواية العربية الجديدة مخلوقات الأشواق الطائرة لادوار الخراط نموذجا: حورية الظل، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، (دط)، سورية، دمشق، 2011، 50.

(2) بنية المكان في الرواية الجزائرية عبد الجليل مرتاض نموذجا: اسماعيل زغودة، دكتوراه، اشراف محمد عباس، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2014، ص102.

من هذا القول نفهم أنّ المكان هو البؤرة المركزيّة لتسهيل عمل وحياة كلّ فرد وكائن حيّ.

جدير بنا القول أنّه لا يخلو مكان من شخصية، ولا حدث، ولا زمن: "فالمكان سواء كان واقعيا أو خياليا يبدو مرتبطا بل مندمجا بالشّخصيات كارتباطه واندماجه بالحدث وجريان الزمن"[1].

نستطيع القول أنّ كلاّ يكمّل الآخر، ولا يمكن إعطاء أيّ أولوية لأحد عن غيره الشّخصية والزّمن والحدث، والمكان، إن نقص ركن، اختل العمل الرّوائي بأكمله ولم يعد له أيّ قيمة تذكر.

(1) البنية السردية في رواية خطوات في الاتجاه الآخر لحفناوي زاغز: بدري ربيعة، ماجستير، إشراف شيتر رحيمة، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015، ص114.

2/ مكان مأساة البطل :

أ- فـــــي الفلبين:الوطن الذي قضى فيه كلّ عمره وبالذّات في:

-الأرض:

كانت الأرض بالنّسبة لخوسيه هي المكان، والملاذ، الّذي يبث إليه همومه وآهاته: "نشأت في أرض لا تتجاوز مساحتها ألفي متر مربع في فالنسويللا يقوم عليها منزلان صغيران أحدهما الكبير مقارنة مع الآخر، يتكوّن من طابقين، كان سكنا لنا تكدسنا فيه (...)أمّا المنزل الآخر صغير جدا، يفصل بينه وبين الأول مجرى مائي في عرض متر واحد، (...)، لم يكن مجرى الماء الفاصل بين المنزلين، جدولا صغيرا، أو فرعا من نهر ولكنّه كان مكبّا تصب فيه المجاري حاملة معها مخلفاتنا، ما يجعل رائحة المكان في الأيام الرّطبة لاتـطاق"[1].

ويتضح من هذا أنّ عيسى قد عاش في مكان غير مريح، ضيّق، وغير مناسب وهذا إن نمّ عن شيء، وإنّما ينمّ عن الحالة المزرية الّتي كان يعيشها في أرض جدّه ميندوزا، ووطن أمّه الفلبين.

- الــغـرفـــة:

لم يكن لعيسى غرفة تحتضن ذكرياته إلاّ بعد زمن، يقول: "في تلك السّنة كان خالي بيدرو قد فرغ من بناء منزله الجديد (...) وهذا له فضل كبير في أن تصبح لي غرفة بعد سنوات مستقلّة في البيت (...) احتضنت حياتي في بلاد أمّي، غرفة صغيرة بـجدران زرقاء، تحتوي على سرير ومروحة وسقف ونوافذ تطلّ على نافذة غرفة جدّي

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص55.

في بيته الصّغير تفصل بين النّافذتين مساحة صغيرة لا تتجاوز المترين، يمرّ من خلالها ذلك المجرى المائي الذي نمت على ضفتيه أشجار البامبو بسيقانها الدّقيقة (...) ما يعكّر صفوي (...) هذيان جدّي ونداءاته النّهارية الدّائمة"[1].

كان من المفروض أن تكون هذه الغرفةمكان راحته بعد عناء يوم طويل لكنّ جدّه لم يتركله هذا الحقّ، المسكين لا يهنأ لا ليلا، ولا نهارا في غرفته،لكثرة ما يأمره به جدّه من أعمال،كان الجدّدائم الشّتم له عبر تلك النّافذة المطلّة على غرفته.

- الشّـجـــرة:

كان خوسيه دائم الجلوس والاستناد إلى شجرة البامبو،الّتي كانت في أرض جدّه ميندوزا لساعات طويلة في اللّيل، لأنّه لم يكن يجد من يحكي له، أو يؤنس وحدته، لا أمّ موجودة، ولا خالة في وعيها، حيث يقول: "كان جلوسي تحت الشّجرة يزعج أمّي (...) أتراها كانت تخشى أن تنبت لي جذور تضرب في عمق الأرض،ما يجعل عودتي إلى بلاد أبي أمرا مستحيلا (...) ربّما ولكن حتى الجذور لا تعني شيئا أحيانا"[2].

عيسى يقصد ليس المهمّ أن يكون لك جذور في ذلك المكان، المهمّ ان يعترف بوجودك فيه.

- الكاتدرائيـــة:

كانت الكاتدرائية كغيرها من الأماكن الّتي لها علاقة بالدّين؛ مصدر مأساة عيسى وشكّه في دينه حيث يصفها مذهولا عند زيارته لها أول مرة: "كانت زيارتي

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص83.

(2) المصدر نفسه، ص94.

الأولى لكاتدرائية مانيلا (...) سجادة حمراء طويلة، تنتشر الكراسي الطّولية الخشبيّة في صفين عن يميني ويساري نقوش على سقف يستند إلى أعمدة رخامية ثمانية علامات الصّليب على الجدران بأحجامها الكبيرة النّوافذ بزجاجها الملوّن، أشعة الشّمس تلقي بألوان النّوافذ على أرض الكاتدرائية الرّخامية وتمثال السّيدة العذراء، بثوبها الأبيض وعباءتها الزّرقاء (...) تحيطه باقات من الزّهور من كلّجانب"[1].

لم يكن عيسى مهتمّا بالطّقوس الّتي تجرى، لأنّه كان يسمع أمّه دوما تقول: سيعتنق الإسلام عاجلا أم آجلا، لكنّ رغم ذلك لم يرد إزعاج من حوله، فقد رضخ لرغبتهم، فكان يفعل ما يقولون له.

بعد مدّة من الزّمن يفتك عيسى حرّيته بيديه، فاكا وثاق القيد الّذي يكبّله، ليرحل إلى مكان آخر يثير حيرته لأنّه سيعيش مع بوذي في غرفته:

- غرفة تشانغ:

"أفسح لي تشانغ مقابل ثمن بسيط، مجالا لمشاركته غرفته الصّغيرة، في الدور الثّاني من مبنى قديم في شارع قريب من مانيلا تشاينا تاون. غرفة صغيرة، بنافذة واحدة تطّل على معبد سينغ غوان. لا تتّسع الغرفة لأيّ شيء، إذا ما فرشنا مرتبتينا على الأرضليلا،سوى ثلاجة صغيرة تحتوي على أطعمتنا المعلّبة (...) رغم ضيق المكان (...) فوق الثّلاجة ثبت تشانغ أرففا تحمل كل شيء يخصنا شموع وتماثيل صغيرة لبوذا"[2].

من خلال سكن عيسى مع تشانغ دخلت على عقله حيرة أخرى وذلك من خلال منظر الشموع الموجودة وتماثيل بوذا الّتي في الغرفة.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص104.

(2) المصدر نفسه، ص134.

- المعبـــد:

مكان آخر يثير الحيرة والتّساؤل لديه؛فقد صار عيسى كلّ يوم قبل النّوم يطلب من ذلك الصّديق البوذيّ أن يحكي له عن بوذا وتعاليمه، وآناء الليل يبقى واقفا، يطلّ على ذلك المعبد، من نافذة الغرفة:"كنت أراقب معبد سينغ غوان في الليل يبدو مهيبا لونه رماديّ داكن، يعلوه القرميد بتصاميم تشبه البيوت الصّينية، نقوش كثيرة بارزة على جدرانه. هنا تمثال لتين صّيني، وهناك تمثال لتنين أصلعباسم الوجه له لحية طويلة. وفي أعلى البوابة المقوّسة تبرز لوحة تحمل حروفا صينيّة،وأسفل اللوّحة على الجزء المقوّس من البوابة كتب اسم المعبد بالانجليزية Seng GuanTemple"[1].

المعبد أثار الدّهشة عند عيسى، و الذّهول، والحيرة، بشكل كبير، حيث صار يصف كلّ شيء فيه، كلّ ركن، وكلّ مكان بالتّفصيل، وبدقّة غير متناهية.

- المركز الصّينّي:

عمل عيسى في هذا المركز في مهنة عامل تدليك، لكن ولصرامة القانون الفلبيني بدفع حقوق للعامل ما إن يتمّ الشّهر السّادس يقوم ربّ العمل بطرده: "قبل أن أتمّم الشّهر السّادس في وظيفتي الجديدة، أخبرني المسؤول في المركز الصّينّي بضرورة البحث عن عمل جديد وبأنّه يمنحني أسبوعا أخيرا في العمل لدى المركز قبل أن يتم إنهاء عقدي معهم"[2].

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص136.

(2) المصدر نفسه، ص148.

ولأنّه آثار شفقة بعض العملاء في ذلك المركز، فقد قام بتأمين وظيفة بائسة لهفي:

- جزيرة بوراكـاي:

عمـل فيـها مجدف مركب، يحمل الحقائب للزبائن طوال النّهار واقفا، وظيفة لم يكن دخلها كافيا لكـي يـعيش من أجرها، ولو عيشة بسيطة: "ما أتممت أسبوعي الأخير حـتّى خرجت بوظيفة جديدة في أحد منتجعات جزيرة بوراكاي في جنوب مانـيلا وفـرّها لي أحد عملائي فـي المركز. (...) وظيفة تعيسة بائسة، براتب لا يضمن لي أن أعيش إلى نهاية الشهر هذا أقصى ما يمكنني تقديمه لفتى لم يكمل تعليمه، قال لي الرجل"[1].

ولأنّـه لم يكمل تعليمه، فإنّه ظل يعاني طوال حياته ويتقلب من وظيفة إلى أخرى، من بائع موز إلى عامل تدليك، إلى مجدف في مركب.

- ملحق المنتجع:

كان سكـنا خاصـا بالعمال، يوضح ذلك في قوله: "كان سكني في ملحق صغير خصّصته الإدارة للعمّال، يقـع إلى جانب المنتجع، له باب يفضي إلى منتصف زقـاق ضيّق متـرّب، يـطلّ على جـدار عـال لمنتجـع آخر، إذا مـا اتجهت يمينا أدرك الشّاطئ، وإذا ما اتجهت يسارا أصل إلى الشارع الموازي للشّاطئ من الخلف، يمرّ على بقية المنتجعات"[2].

كان عيسى لا يحبذ ذلك المكان اطلاقا، ولا يدخله إلاّ في ساعات متأخّرة من اللّيل، للنوم فقط، مضطرّا له، وكأنّه تنبأ بأنّه سيكون سجنه في الكويت.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص148.

(2) المصدر نفسه، ص152.

ب- في الكويت:

- في المطـــار:

بدأ ظلم عيسى في أوّل مكان وطأته رجلاه؛ مطار الكويت حيث وقف حائرا لا يعرف المكان الّذي يجدربه الوقوف فيه: "استدرت متّجها إلى حيث تختم الجوازات حاملا حقيبة وجودي، تلك الّتي تضمّ صور أبي القديمة وأوراقي الثّبوتيّة. وقفت في أحد طوابير الGCC ، خلف رجال يرتدون تلك الثّياب الفضفاضة مع أغطية الرّأس العربيّة لابدّ أنّهم مثلي كويتيون"(1).

فبسبب شكل وجهه، وجرّاء وقوفه في هذا المكان، يأتي أحد الموظّفين، ويهينه دون علمه بحقيقة هويته، أو التحرّيعن الأمر الّذي جعله يقف في ذلك المكان نهرهوشتمه بكلمات لا يفهمها، حتّى أنّه اضطرّ لتغيير مكانه الصّحيح، إلى الوقوف في المكان الخطأ حيث:"في الطّابور الآخر، قال لي شاب فلبينيّ: كنت تقف في المكان الخطأ، ذلك الطّابور خاص بالكويتيين ومواطني دول الخليج، هززت رأسي شاكرا وأنا أتمتم في نفسي رفض وجهي قبل أن يرى جواز سفري"(2).

كان مكانا كئيبا ذلك الّذي نزل فيه عيسى، وكانت كلّ الأشياء الّتي فيه والنّاس توشي بالحزن يصف عيسى حال المكان مستغربا: "كانت المتاجر والمطاعم والمقاهي في المطار مغلقة مطفئة أنوارها. كراسيها مقلوبة مثبتة إلى الطّاولات. يا لهذه الكآبة، أدرت رأسي باحثا بين وجوه النّاس الّتي جاءت تستقبل العائدين من أسفارهم. إن لم تكن

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص185

(2) المصدر نفسه، ص186.

الوجوه حزينة فهي صامتة بلاتعابير ما الّذي يدعوهم لاستقبال العائدين من السّفر مالم يكونوا بمزاج جيد؟ !"[1].

فهذه المناظر الغريبة جعلت عيسى مندهشا إزاءها، حتّى ظنّ أنّ المستقبلين لزوّارهم لا يرغبون فيهم.

-الجابرية:

ذلك المكان يحمل نفس اسم الأمير الّذي تعرّض للتّفجير، يوم وصول والدته أول مرّة للكويت؛ الأمير جابر؛ هو المكان الّذي تحمل الطّائرة نفس الاسم،الّتي اختطف على متنها غسان ووليد؛ صديقا والده وموت وليد على متنها ،يوم مجيئه إلى الوجود، المكان الحامل نفس اسم الأمير المتوفى؛ يوم عودته إلى فردوسه المفقود فيقول إثر هذا كلّه:"ارتياحي لغسان وثقتي به لم يعينان على الارتياح للمكان الّذي يسكن، شقّة صغيرة في منطقة الجابرية، ذات الاسم تحمله الطّائرة الّتي اختطفت قبل سنوات والّتي كان غسان على متنها ووليد، وكلا الاسمين يعودانإلى جابر الاسم الأول لأمير الكويت الّذي بكاه النّاس يوم وصولي"[2].

كلّ هذه الأمور الّتي جرت كانت مصدر ألم عيسى ومعاناته طوال حياته.

بقاء عيسى في شقة غسّان صديق والده،لميبعدا عنه ذلك الاحساس بالضّيق ،والسّأم، رغم توطّد العلاقة بينه وبين غسان:"توطّدت علاقتي بغسان خلال الشّهر الّذي قضيته في شقته الصّغيرة. تلك الشّقة الّتي كنت أشعر بالاختناق داخلها. لم أعتد على هذا النوعمن السّكن (...) نوافذ شقة غسان على كثرتها، لم أجد من بينها نافذة أشاهد

---

(1) ساق البامبو : سعود السنعوسي، ص187.

(2) المصدر نفسه، ص189.

من خلالهاما يثير الاهتمام سوى ذلك الشّعور المرير بالغربة اتجاه الأرض والنّاس"[1].

شعور فضيع ذلكالذي كان يعانيه عيسى، في شقّة غسان يملأ روحه ويعمّ كيانه،مرارة الغربة.

-الوطـــن:

كانت الكويت في نظر عيسى عند مجيئه لها أوّل مرّة، غاية في الرّوعة:"جميلة هي الكويت، هذا ما كنت أراه حين يصطحبني غسان إلى المجمعات التّجارية والمطاعم الشّوارع النّظيفة بشكل ملفت، لابدّ أن تكون كذلك، فليست السيّارات الّتي تسير فوقها عادية. المباني والبيوت، واحدها يختلف عن الآخر، وكل يجذبك فيه شيء، الألوان والتّصاميم والسّيارات المصفوفة أمامها .. أوه ! ما أجملها"[2].

كان داعي انبهار عيسى في الكويت، وذهوله لكلّ شيء فيها، هو عيشه في فقر مدقع،وفي منطقة بائسة جدا.

- قرطبـــــة:

هنا في هذه المنطقة يقع بيت جدّة عيسى؛ غنيمة الّتي قبلته عن مضض بعد مشاورات ومناقشات عدّة، يصف البيت الّذي طرد منه عند ولادته قائلا:"جميل هذا البيت (...) تناسق الألوان، الأثاث، رخام الأرضيات وقطع السجاد الفاخر، النّقوش على الجدران، الثريّات المتدلية من السّقف السّتائر المخملية الفخمة، الطّاولات الخشبية الصّغيرة تغطيها مفارش مرصّعة بقطع صغيرة تشبه اللآلئ والأحجار الكريمة مزهريات

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص195.

(2) المصدر نفسه، ص203.

بأحجام مختلفة تحمل سيقان البامبو (...) وإن بدا البامبو في غير محلّـه في تلـك المـزهريـات الفـاخـرة مثلـي تمـاما في بيت الطاروف"[1].

من خـلال وصـف عيـسى وانتـبـاهــه لكـلّ شــيء فيـه، فقد لمح ساق البامبو الّذي اعتبره ليس في مكانه المناسب، مثله تماما في بيت جدّته غنيمة،بيت الحواجز والحدود،قصر الطاروف.

-الملحـــق:

ملحق بيت الطاروف كانت فيه أحلى أيام والده، و كانت أتعس أيام حياته، المكان الّـذي شـهـد مأسـاتـه،ولاقـى فيـه الازدراء، والتّـحـقير، والتّهميش، ورمي فيه وكأنّه شيء لا حاجة له، الّذي دخله من باب يذكّره بمأساة ولادته: "دخلت من الباب الجانبي، الباب الّذي طردنا منه أنا وأبي قبل سنوات باب يفضي إلى ملحق المنزل (...) غرفة ضعف حجم غرفتي القديمة، سجّادة كبيرة تغطّي كامل أرضية الغرفة، سرير كبير يكفي لشخصين وسادتان وغطاء أبيض أنيق، تلفاز بشاشـة كبيرة، طاولة صغيرة تحمل اللابتوب ثلاجة، مدفأة ومكيف هواء (...) كنت أقارن بينها وبين غرفتي البائسة في الفلبين"[2].

في البداية انبهر عيسى بكلّ ما وجد في ذلك المكان، لكن بعد مدة وجيزة لم يعد يحس بكل تلك الأشياء، صار يريد حنانا، يتوق لتلك الألفة العائلية، والضّحكات والنّـقـاشـات، والـعـلاقـات الحميميّـة بين الأهل،فقد كـانـت جدّتـه تمـنـعـه من الاقتراب من منزلها وتأمره ألا يبرح الملحق، حين وجود بناتها وأزواجهن، وأحفادها.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص217.

(2) المصدر نفسه، ص232.

- المكتـب:

مكتب راشد والد عيسى، يعدد ما فيه: "غرفة صغيرة تغطي أرفف الكتب أغلب المساحات في جدرانها، مكتب خشبي في إحدى الزّوايا، وبضع صور بإطارات ذهبيّة تنتشر على المساحات الشّاغرة في الجدران هذه غرفة مكتب أبي (...) احتشدت كل أحاديث أمّي الّتي قالتها لي عن هذه الغرفة، هنا كانا يتبادلان الحديث إذا ما ذهبت جدّتي وعمّاتي إلى النوم. هنا كانت تدخل أمّي إلى أبي بالقهوة. شعور غريب إنتابني"[1].

يعتبر عيسى المكتب؛ مكان مأساته الكبرى فهنا في هذا المكان بالذّات، نشأت تلك الألفة، والعلاقة الحميمية بين راشد الثري المثقف وجوزافين والدته الخادمة الفلبينية الفقيرة.

- ملحق الشاليه:

نلاحظ أنّ عيسى دائما تخصص له غرفة الملحق، والّذي نستطيع فهمه، أنّه يعتبر بمثابة الشّيء الزّائد عن الحاجة، الّذي لا قيمة له، ويمكن طرده والاستغناء عنه في أي وقت، وهذا ما حصل له فعلا بعد مدة من الزّمن، فالشّيء المضاف عنوة يرمى بكلّ سهولة، حيث يقول وهو في المصيف في ملحق شاليه العائلة: "خصصت لي عائلتي غرفة ملحقة بالشاليه، في الاتجاه المعاكس للبحر. لم يكن مسموحا لي بدخول الشاليه أو الاقتراب من البحر، خصوصا إذا ما كانت نورية موجودة.

كانت رحلتي الأسبوعية إلى الشاليه تشبه الذّهاب إلى السّجن. ننطلق في سيارتين

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص234.

الأولى لجدّتي وأختي تقودها عمّتي هند، والثانية لبابو ولاكشمي ولوز فيمندا يقودها راجو وليس من الضروري أن أشير في أي من السّيارتين كنت أذهب"[1].

كان يعامل عيسى معاملة قاسية جدا ، يسجن كالمتهمّ في زنزانة، يحظر عليه التّمتع بالعطلات الصّيفية في الشاليه، والخروج من ذلك الملحق ،وأثناء ذهابه إليه كان يركب سيارة الخدم، حتّى لا يثير شبهة من حولهم من النّاس.

- المقبـــرة:

المكان الّذي بكى فيه طويلا، ولم يستطع التّوقف وذلك لما يعانيه في بيت جدّته من ظلم: "مكان دفن رفات الأسرى الشّهداء. مساحة رملية كبيرة، تنتشر ألواح القبور في خطوط أفقية (...) رفات الشّهداء مغطاة بعلم الكويت"[2].

نحب عيسى نحيبا مريرا على قبر والده فقد كان يتمنّى لو يستفيق ذلك الأب، لو ينهض ذلك الّذي ظلمه بإرجاعه إلى هنا، ويقوم بأخذ حقه له من جميع ممن ظلموه، الذي لم يكن يعرفه عيسى موت والده وعيشه سواء، لانه لن يقدر على تحدي ومخالفة قوانين، وتقاليد عائلة الطاروف.

- الغرفـــة:

رغم ضيق غرفة إبراهيم سلام، والّتي يطلق عليها عيسى علبة ثقاب، احتضنته بعد طرده من ذلك القصر الواسع، من ذلك الملحق الّذي لا حاجة لهم به، مأساة هي؛ حين يطردنا القريب فيحتضننا الغريب:"شاركت إبراهيم سلام غرفته الصّغيرة بشكل مؤقّت لحين عثوري على سكن. لماذا تسكن الجابرية؟ سألت ابراهيم وأنا لا أحمل لتلك

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص245.

(2) المصدر نفسه، ص251، ص252.

المنطقة، سوى مشاعر مؤلمة، موت صديق أبي في طائرة تحمل الاسم نفسه وخيانة صديقه الآخر الّذي يسكن في المنطقة ذاتها"[1].

نلمح دائما آثار الحزن والمعاناة تتبع عيسى دوما وأبدا أينما حلّ، وأينما ذهب فالجابرية عند عيسى تحمل له كلّ معاني الألم.

- شقة الجابرية:

بعد أيام ينتقل عيسى إلى شّقة خاصة به في الجابرية أيضا، وكأن الحزن والألم كتب عليه منذ ولادته وسيبقى ملازما له في كلّ مكان يطأه: "في الجابرية الّتي أكره عثرت بمساعدة إبراهيم، على شقّة مناسبة تحتلّ طابقا ثالثا من بناية قديمة (...) كان انتقالي سهلا فلم أكن أملك ما أحمله معي إلى سكني الجديد سوى ثلاث حقائب، الكبيرة لملابسي والصّغيرة لجهاز اللابتوب، والأهمّ منها حقيبة وجودي"[2].

دائم الذّكر عيسى دوما وأبدا عن حقيبة وجوده، كان يظنّ أنّ الأوراق كافية لإثبات وجوده عند أهله، والمجتمع، لكن هيهات يا عيسى إن لم يعترف بك الأهل، فعن أي وجود تتحدّث، فأنت مرفوض من قبل مجيئك إلى الوجود أصلا.

-السجـــن:

ظلم آخر يعانيه عيسى في الكويت وهو يقبع: "خلف قضبان غرفة الحجز في مركز الشّرطة (...) غرفة صغيرة قذرة كنزلائها العشرة رائحة المكان والأشخاص لا تطاق"[3].

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص296.

(2) المصدر نفسه، ص301.

(3) المصدر نفسه ، ص317.

زج بـه فـي السّجـن بـسبب وجـهـه اعتبـر فـارّا لا يملك أوراقا تُثبت جنسيته،لم يستمعوا له، لم يعطوه فرصة لشرح وضعه.

المكـان هـو مسرح الأحداث، والـوقـائـع، هـو ذلـك الّـذي نعوده، ولا يعودنا، نترك فيـه بـصـمـتـنا، ذكريـاتـنا حياتنا، آهاتنا، هو ذلك الّذي يذكّرنا بلحظات فرحنا، وأسعدها هو ذلك الّذي يبكينا، ويرغم الدّمع على الخروج من مقلتينا، حارقة قلبنا ،مارّة على خدينا ونحن نتذكّر أسوأ، وأتعس ،لحظات حياتنا فيه، هو ذلك الّذي يمثّل فيه ذلك الحدث، في ذلك الزّمن، في تلك الشّخصية ،الّتي كـانت عيسى الـطاروف، الّـذي عنـد تـذكـره ومـروره بـه، عاودتــه تـلك المعانـاة وتـلك المــأسـاة، هذا هو المكان فيها.

III/ البواعث المأساوية:

1-الزّواج العرّفي:

مـا تمّ بـين راشـد والخادمة الفلبينية جوزافين ،ذلك الزواج الذي خلق المأساة والمعاناة، لدى الجميع:(أمّه أخواته، ولده عيسى) وقد خطط راشد ليتمّ هذا الزّواج في سرّية تامّة؛ حيث اغتنم فرصة ذهابهم إلى المصيف وقام بأخذ جوزافين معه في سيارته يحكي عيسى على لسان والدته : "توقّف بسيارته أمام أحد البيوت القديمة ترجّل هو وأمّي (...) كان الرّجل بانتظارنا (...) ينادي (...) علىرجلين آخرين (...) لم نمكث طويلا جلسنا أمام الرّجل الّذي شرع بالحديث مع والدك (...) سأل والدك (...) أجاب بالموافقة (...) هل تقبلين راشد زوجا؟ حرّر ورقة بعد موافقتنا قمنا بالتّوقيع عليها (...) ثم قام الرّجلان بالتّوقيع أيضا ثم مبروك"[1].

أثار هذا الزّواج الغريب الشّك والرّيبة، عند جوزافين الخادمة أمّ عيسى لاحقا، سألته: " أبهذا فـقـط نصبح زوجـين؟ أومأ مـؤكّـدا: الأمر بسيـط. كنت مـترددة، لم أشعر بشيء مختلـف تجاه والدك، قبل أن نترجل من السّيارة كان سيّدي، وأثناء عودتنا إليها كان يزال كذلك. سألته ثانية: هل أنت متأكّد؟ أخرج الورقة من جيبه: هذه تؤكّد، مدّ كفّه إليّ بالورقة: يمكنك الاحتفاظ بها. سألته عن السّيدة الكبيرة والفتيات. أجاب دونما اهتمام: كلّ شيء في أوانه"[2].

فعـلا كـان حـدس جـوزافـين فـي محلّـه، لـم يكـن زواجـها رسميّـا كما كانـت تتمنّى

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص38، ص39.

(2) المصدر نفسه، ص39.

أن يكون في: "ذلك الوقت اكتشفت أنّه لم يكن زواجا حقيقيّا لمّح إلى فكرة الإجهاض"[1].

وفي تلك الأثناء صعقت الجدّة الكبيرة بأمر هذا الحمل فطلبت منه إسقاط ذلك الجنين، لكنّه رفض، فطردته خارجا، وعواقب ذلك الزواج كانت وخيمة، طرد من البيت، هو و الخادمة الّتي حملت منه، وتخلت عنه والدته نهائيّا، ومنعت حتّى بناتها من الحديث معه، منعت عنه المال أيضا، لأنّها تعرف مدى حاجته له، فدخله البسيط، لا يستطيع العيش به ،بالمستوى المعيشي المناسب: "في شقة صغيرة سكن الاثنان. شقة بمستوى راتب والدي المتواضع آنذاك. لا يتردّد عليهما في سكنهما سوى غسان ووليد، اللذين شهدا على زواجهما الرّسمي بعد انتقالهما إلى سكنهما الجديد"[2].

وبعد انتقالهما لهذه الشقة حوّل زواجه إلى زواج حقيقي، بعد أن كان عرفيّا، ثم ولدت جوزافين عيسى، وتخلّى عنهما باعثا إياهما إلى الفلبين ، لم يستطع راشد التّخلي عن حياة الرّفاه والنعيم.

وهذا الزّواج العرّفي أثمر ثمرة غريبة الشّكل؛ كانت عيسى، ظلّت تتدحرج بين منحدرين لا تعرف أيّ منحدر تستقر عنده.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص42.

(2) المصدر نفسه، ص46.

2- الـطّـبـقـيّـــــة:

كان هذا الأمر سببا من أسباب تورط راشد في علاقة مع جوزافين؛ الخادمة الفلبينيّة لأنّه كان مكسور الوجدان فقد رفضت والدته زواجه من الفتاة الّتي أحبّها وذلك لأنّها كانت من طبقة عادية لا تليق بمستواهم العائلي، تقول: "فالحبّ وحده لا يكفي لتقترن بفتاة أحلامك. قبل أن تقع في الحب كما فهمت من راشد،يجب أن تختار الفتاة الّتي ستقع في حبها. لا مكان للصّدفة والظّروف في ذلك. يبدو أنّ بعض الأسماء تجلب العار للبعض الآخر، هذا ما جعل السّيدة الكبيرة ترفض لمجرّد معرفتها بالاسم الأخير للفتاة"[1].

رمّم راشد نفسه عند خروجه من علاقة حبّ فاشلة، لكنّه تناسى قانون طبقته الّذي ينصّ أن تعطي الأمر لقلبك بأن يحبّ ما يليق به على صعيد المستوى العائلي فكيف تقبل والدته زواجه بخادمة فلبينية، بعد أن رفضت زواجه من فتاة عادية، ظلم راشد جوزافين،وظلم عيسى كذلك الّذي عانى طوال حياته.

فالكويتيون لا يعطون أيّ قيمة للخدم تذكر ويتجلى ذلك: "صوت نسائي رحبّ بغسان. الصّوت واللهجة أثارا فضولي، وقفت على أطراف أصابعي أنظر من خلف كتف غسان وإذ بخادمة (...) سألتها فلبينية؟ استدار غسان رمقني بنظرة استنكار: عيسى ! إنها خادمة"[2].

بمجرد إلقاء عيسى التّحية على الخادمة؛ الّتي شعر عند وجودها بالألفة، لم يرق ذلك الفعل لغسان ولامه عليه، قائلا: إنّها خادمة وكأنّ الخدم ليسوا بشرا عندهم

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي،ص36,ص37.

(2) المصدر نفسه، ص216.

وكأنّهم من حجر، أو معدن، وكأنّ هذا الخادم لا شعور له، ولا إحساس، مثل بقية النّاس تقول له إحداهن: "لا تكن مثلهم أنت أيضا ! إنّهم يعاملوننا على أنّنا لا نشعر ولا نفهم"[1].

ها هي الخادمة تخبره بذلك الأمر الّذي يزعجهم، وباعتبارهم خدما، ومن طبقة دنيا، لا يليق بالعائلات رفيعة المستوى التّعاطي مع أمثالهم، يستعملونهم بمثابة آلة حتّى أنّ البعض لا يحق له أخذ إجازة للراحة، لا يهم إن كنت كويتيا،أو، لا، المهم من أنت؟ ما هو حجم اسمك العائلي بين الطبقات؟ ماذا تملك من مال؟ما هي معادلة ثروتك مقارنة مع الطبقات الأخرى: "لا يعتدّ النّاس بكلمة كويتي، وإن كان الإنسان كويتيّا، فهذا أمر لا يعني شيئا. الكويتيون أنواع. درجات من البشر، طبقات متفاوتة تميّز بعضهم عن الآخر"[2].

وكأنّ النّاس عندهم أصناف سمك، أو قطع قماش: صنف 1، صنف 2، صنف 3، هكذا تصنف النّاس في الكويت.

كان عيسى في حديثه معتزّا بأهله في الفلبين، كما كان يود أن يكون معه الأمر ذاته في الكويت: "كنت فخورا في حديثي عن النّاس في الفلبين، وكنت أتمنّى أن أتحدث عن النّاس في الكويت بالحماس نفسه، ولكن ذلك لن يكون إلاّ إذا صرت منهم، وهم يرفضون أن أصير واحداً منهم، وإن تمكّنت من ذلك فكيف سيرونني في تقسيماتهم الاجتماعية المعقّدة؟ وإذا ما وضعوني في أسفل التّرتيب هل سأتحدث عنهم بالحماس نفسه؟"[3].

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص240.

(2) المصدر نفسه، ص276.

(3) المصدر نفسه، ص278.

رفض عيسى ولم يصنّف ضمن أيّ طبقة، مهما كانت درجتها ،كان وجهه الفلبيني البحت مأساة حياته، فقد كانت كلّ طبقة تسعى لفرض سيطرتها على أخرى أدنى منها لتكون سيّدة عليها: "شـيء معقّـد ما فهمتـه في بـلاد أبي، كـلّ طبقـة اجتماعيـة تبحـث عن طبقة أدنى تمتطيـها وإن اضطرت لخلقها، تعلو فوق أكتافها، تحتقرها، وتتخفّف بواسطتها من الضّغط الّذي تسبّبه الطّبقة الأعلى فوق أكتافها هي الأخرى. بين هذه الطّبقات كنت أبحث عني، نظرت أسفل قدميّ لا شيء سوى الأرض، الضّغط فوق كتفي قادني إلى مكاني بين النّاس في بلاد أبي"[1].

اكتشف عيسى في الأخير أنّ لا مكانة له ضمن هذه التّصنيفات الطّبقيّة تماما، وعرف أن مكانه الحقيقي يكون بعيدا عنهم.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص279.

3- التّـــطـــيـــــــر:

كـان هـذا أيـضا سببا من أسباب مأساة عيسى الأبديّة، حيث اعتبرته جدّته نذير شؤم على العائلة كانـت الجـدة الكبـيرة لا شغـل لها ولا عمل إلاّ تفسير أيّ حلم تحلمه وتعتـبره بمثـابة تنـبيه أو انذار، من أمر ما: "كانت جدّتي، غنيمة (...) متطيّرة تؤمن بما تراه في نومها من أحلام إيمانا مطلقا وترى في كلّ حلم رسالة لا يمكن إهمالها مهما كان حلمها تافها أو غير مفهوم، وقد كانت تقضي معظم الوقت في البحث عن تفسير لما رأته في منامها، وعادة ما تلجأ إلى مفسري الأحلام (...) كانت تنظر إلى أيّ شيء يحدث مهما كان بسيطا على أنّه إشارة لا يجب الاستهانة بها"[1].

كانـت الجـدّة تصـرّ عـلى رأيها بخصوص أحلامها، أو أيّ إشارة مهما كان نوعها، لا يمـكن أن يـقنعـها أحـد، أنّ، مـا رأتـه مجـرّد أضـغـاث أحلام، أو لا تـفسير لـه، أو هـو مجـرّد هذيان من حمى، أو شيء من هذا القبيل.

وقد كانت الجدّة الكبيرة غنيمة، دائمة التّتبع لكلّ شيء حيث: "ترصد كلّ حدث وصدفة تمرّ بها. (...) ذات يوم (...) كانت مدعوة مع بناتها إلى حفل الزّفاف، (...) عدن إلى المنزل خلال نصف ساعة من خروجهن (...) تعطّلت السّيارة في منتصف الطّريق (...) رأت حادثا مأساويا كان بانتظارنا"[2].

في يوم من الأيام كانت ذاهبة فيه لحفلة عرس، كنّ مدعوات كلّهنّ فحدث وأن تعطّلت السّيارة في منتصف الطّريق، فأبت إلاّ أن يرجعن ولا يكملن المسير، رغم وجود سيارات أخرى عندهنّ، كان بإمكانها إرسال السّائق فقط.

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص29.

(2) المصدر نفسه، ص30.

لكنّها قالت أنّ هذه إشارة، ولو أكملنا المسير لتعرّضن لحادث يودّي بحياتهنّ جميعهنّ.

كان للجدّة غنيمة ما تبرّر به فعلها تجاه معاملتها القاسية للخادمة الفلبينية جوزافين؛ حيث تصفها بوجه الشّؤم،و مصدرا للشرلأنّها: "وصلت (...) إلى الكويت في وقت حرج وقد تشاءمت جدّتي كثيرا من قدومها، وقد بدا ذلك على وجهها كلّما ظهرت والدتي أمامها يبرّر ذلك والدي بقوله: وصلت إلى بيتنا يا جوزافين في الوقت الّذي تعرّض فيه الموكب الأميري لتفجير كاد أن يودي بحياة أمير البلاد لولا عناية الله ...وأمّي ترى بقدومك طالع نحس"[1].

كانت تتشاءم منها كثيرا، ولا تريد أن تراها أمامها، وإن كسرت شيئا يا ويلها، وسواد ليلها، فإنّها تظلّ تشتمها طوال النّهار، وتنال حظّها من الصّراخ والزّعيق.

كانت الجدّة تردّ أي حادثة تحصل، أو مصيبة، للعنة جوازفين وحفيدها عيسى ويتجلّى ذلك: "بعد حادثة وليد، استجابت السّيدة الكبيرة، لأوّل مرّة، لاتّصال والدك: لم أكن راغبة في الرّد ولكن، لتعلم وحسب. أنّ النّحس سيطاردك. انظر ماذا حلّ بصديقك بعد ولادة ذلك الشّيء البغيض. إنّه مثل أمّه لعنة"[2].

تنعته جدّته مع أمّه باللعنة؛ الّتي إذا حلّت في أيّ مكان لابدّ أن تصيب بشرارتها كلّ من حولها وكذّلك حدث لصديقه من جرّاء ولادة ذلك المسكين عيسى الّذي تسمّيه شيئا.

واعتقادا منها بأنّهما لعنة، شجّعت ولدها ، بل حثّته ،على التّخلي عنهما، قائلة له:

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص30.

(2) المصدر نفسه، ص51.

"اقذف بهما خارجا وانظر كيف ستحلّ البركة عليك. ومن ثمّ عد إلى بيتك، وستجدني بقلب الأمّ، أغفر لك ذنبك العظيم"[1].

وتقول له أنّه إذا رماهما بعيدا و تخلى عنهما سينعم بالأمان وستنسى له كلّ مافات، وتصفح عن كلّ ما بدر منه، لأنها كانت تعتبرهما دوما نذيرا شؤم، على العائلةو كل من له علاقة بعائلة الطاروف.

تشاء الصّدف وتتكرّر مع عيسى،كما حصل مع والدته؛ ففي يوم مجيئه بالضّبط للكويت ينتقل إلى رحمة الله، أمير البلاد فجر ذلك اليوم، لذلك يحاول غسان إخفاء الأمر، باستضافة عيسى عنده شهرا كاملا:"كان من المفترض أن يذهب بي غسان (...) إلى منزل جدّتي غنيمة هذا ماقاله لي، ولكن والحالة حداد، (...) والأهمّ من ذلك مزاج جدّتي في ذلك الوقت.(...) مجيئي إلى الكويت في الوقت الّذي توفي فيه الأمير (...) وصول أمّي وقت تفجيرات الموكب الأميريّ في منتصف الثّمانينيات، ولادتي واختطاف الطّائرة، سفرنا والإفراج عن ركّابها، وجودك في هذا الوقت تحديدا، يؤكّد فكرة لعنة جوزافين الّتي تؤمن بها الخالة غنيمة. ولهذا تأجّل لقائي بجدّتي"[2].

لكن و رغم محاولة غسان ذلك، إلاّ أنّها عرفت بالأمر، فيما بعد حتىّ تترسّخ لديها فكرة أنّه: "لعنة حلّت على الطاروف"[3].

---

(1) ساق البامبو: سعود السنعوسي، ص51.

(2) المصدر نفسه، ص189.

(3) المصدر نفسه، ص367.

إنّ صفة التّطيّر؛ توجد عند العديد من البشر، فقد نجد البعض يتشاءم من قطّةسوداء مثلا أو بوم، ويعتبر يومه قد انتهى، ولا داع لخروجه، لأنّه عرف يومه من أوّله، كما حدث مع الجدّة غنيمة الّتي تتطيّر من أشياء مسطورة في القدر من قبلُ.

الـــخـــاتـــمـــــة

لقد حاولنا في هذا البحث الإجابة عن الإشكالية المطروحة في المقدّمة الّتي مـفـادها: ماهـــو المأسـاوي؟ ومع مـن تـجـلّى فـي الـرّوايـة علـى وجـه الخصـوص؟ ما هي البواعث الّتي خلقت المأساوية؟ وقد آثرنا الإجابة عن كلّ هذا ضمن مدخل وفصلين تطبيقيين و خاتمة واستنتجنا الآتي:

– تجلّت المأساوية عند البطل الفلبيني خوسيه والكويتي عيسى في :اسمه، دينه، وطنه أمّه، أهله.

– بدأ زمـن مأساتـه مـن اليـوم الّذي وطـأت فيه رجـلا أمّه بيت الطاروف، تلك الّتي تعير كلام النّاس أهمية، وتهتم المكانة العائلية في المجتمع .

– كان أيّ مكان عرّج عليه أو عاش فيه يعتبر مسرح الأحداث مأساته، وألمه، ومعاناته: كنيسة، مسجد، معبد، أرض جدّه، وطن والده، الكويت، الملحق، الجابرية.

وكانت البواعث المأساوية الّتي اخترناها:

– الزّواج العرّفي الّذي يشبه الزّواج وليس بزواج.

– الطبقية.

– التّطير.

وقد رأينا أنّ للكتابة المأساوية، أو للقلم المأساوي، هدفا نبيلا، ونبيل جدا، أو بالأحرى بالغ الأهمية وتمثّل في :

– رفع الظّلم عن فئة معيّنة في المجتمع.

– تغيير وضع فاسد.

– لفت الانتباه إلى أمر غير ذي بال من طرف الجميع.

– كشف كواليس الأسر المحافظة الثرية، و إزاحة الستار عنها.

الـمـــلـــحـــق

ملخص الرّواية:

تدور أحداث رواية ساق البامبو لسعود السنعوسي؛ حول الحياة المأساوّية الّتي حفّت مصير البطل، من قبل مجيئه إلى الوجود إلى باقي حياته، نتيجة زواج عرفي غير متكافئ، بين طرفين؛ خادمة فلبينية، من سليل العائلة الكويتيّة العريقة راشد الطاروف، والّذي أثمر عنه ولد يسمّى عيسى في الكويت، وخوسيه في الفلبين، الّذي تخلّى عنه والده فور ولادته وبعثه إلى الفلبين، الّتي قاسى فيها كلّ أنواع الآلام والأحزان والحرمان، بداية من جدّه الجشع، دائما يريد مالا ولا يهمه مصدره، ولأنّ عيسى صغير لا يقوى على العمل؛ فقد كان يستغلّه في أعمال أخرى كتنظيف بيوت الحيوانات، وسقيها وتقديم الطّعام لها، وكان يطلب منه طلبات غير معقولة، ثمّ استعمله كمدلك يومّي إضافة إلى هذا كلّه تتركه والدته لتعيش مع زوجها وطفلها وتحرمه منها، رغم قرب البيت منها، إلاّ أنها لا ترتاد البيت يوميّا؛ لأنّها لا تريد أن يؤلمها حرمانها منه عند رحيله، لكنّها كانت أنانية هي أمّ عيسى؛ فكّرت في مدى الأسى الّذي ستعانيه هي، ولم تفكر في مدى حاجة طفل، لأمّه في هذه السّن الصّغيرة، حيث حاول المسكين البحث له عن أمّ بدل أمّه فكانت خالته، الّتي أصبح يناديها ماما، وهذا من فرط حرمانه من والدته ونتيجة للمعاملة الّتي يعامله إيّاها جدّه القاسي ونداءاته المتكررة بالأوامر، كان يحسّ نفسه محبوسا ومكبّلا بقيد يقهره لكنّه قرّر أخيرا؛ أن يفكّ وثاق ذلك القيد، الّذي يثقل كاهله.

هاهو عيسى يحرّر نفسه بالتّخلّي عن دراسته، والرّحيل بعيدا عن جدّه،إلى عامل؛بائع موز، في مكان بعيد عن عائلته يعيش مع شخص يعتنق الدّيانة البوذية، ممّا جعله يسأل ويستفسر كثيرا حولها، ويحاول مقارنتها بالمسيحية، ما يجعله في حيرة من أمره، وفي تيه، فيقول: المسيحية دين والدتي، والبوذية دين تشانع وماذا عن الإسلام، ثم بعد ذلكينتقل إلى عامل تدليك في المركز الصّيني، ثم تنتهي مدّته وينتقل إلى العمل في وظيفة بائسة، براتب زهيد، وهذا نتيجة تخليه عن دراسته، التي عند تخليه

عنها، كان يظنّ أنّه قد تحرر من جدّه ميندوزا، ولكنّه بالعكس فقد ظلّ مقيدا طوال حياته بالفقر والتّعاسة، ثمّ في هذه الوظيفة التّعيسة؛ يلتقي أصدقاء كويتين ينضمّ إليهم، وذلك كله كان لكثرة ما تحكي له والدته عن والده وأصدقاء والده، يحاول دوما التّقرب من الكويتيين، مرّة أخرى تظلمه والدته بخلق حبّفيه؛ لم يكن من المفروض أن يكون أصلا لأب ظالم، ظلمه؛ من يوم ولادته ومنذ اليوم الّذي وعد أن يعيده إلى الكويت، بعد أن ضربت جذوره في الفلبين، وتأصّلت إلى أهل ينبذونه، ويحتقرونه، بعد عودته للكويت عن طريق صديق والده غسان، ما نال إلاّ الازدراء، والاحتقار، ثم عندما أدخلوه إلى منزلهم أسكنوه في ملحق؛ مكان يسكنه السّائق،و النّاس الغرب، وقدّم بصفته خادما، دائما مختبئ في غرفته حتّى لا يكتشف أمره، يأكل في المطبخ بصفته خادما، ليس له الحقّ في أيّ شيء، لا يجتمع مع العائلة، لا يخرج أثناء تواجدهم تعتبره جدّته وجه شؤم؛ لوفاة الأمير يوم وصوله وتطلق عليه شيء، وتقول عنه أنّه سمكة فاسدة تفسد بقية الأسماك الطازجة ،عن حفدتها تمنعه من الاقتراب منهم، يعيش عيسى في بيت جدته بصفته سرّا، لا يجب أن يكتشفه أحد، يحاول قدر الإمكان التقرّب للعائلة بـ: الصّوم، الصّلاة في المسجد. التّعرّف على الدّين الإسلاميّ، لكن لا حياة لمن تنادي، هكذا كانت عائلته لا تأبه له أبدا، حتىّ أنّه يستند إلى البوذية، والمسيحية والإسلام، قائلا: بأنّهم يحثون عن معاملة الإنسان معاملة حسنة.

لماذا أنا؟ كانوا إذا ذهبوا إلى العطلات الصّيفية، لا بدّ أن يبقى مسجونا في غرفته، إذا ذهب أحفاد الجدة غنيمة. كان لا يستمتع بشيء أبدا، كان يتحدّث مع الخدم، حتّى يروّح عن نفسه قليلا، وكان هذا خلسة طبعا، دون أن يراه أهله، إلى أن أتى فيه اليوم المشؤوم؛ الّذي تطلب فيه جارة لهم ذلك الفلبيني، ليعمل خادما لها، وطبعا تذعن جدّته لطلب تلك الجارة الثّرثارة، حتّى لا يكتشف أمر حفيدها الفلبيني، ثمّ يرفض عيسى قائلا: إن كنت ورثت ملامح أمّي الفلبينية، فأنا لم أرث مهنتها كخادمة، ثم بعد ذلك تهاتف هذه الجارة أم خولة أخت عيسى لتسألها عن أمر ذلك الفلبيني، الّذي يدعى عيسى

تتنبه هذه الأخيرة للأمر، فتأتي لأخذ ابنتها لتعيش في بيت جدتها لأمّها لأنها لا تريد لها أن تعيش مع فلبيني، ونتيجة لهذا يشدّ عيسى الرّحال بعيدا عن بيت الطاروف، إلى بيت صديق له؛يدعو للإسلام تعرّف به في المسجد، ثمّ إلى شقّه في الجابرية، ثمّ يقوم بالبحث عن عمل لينشغل به، ثمّ في هذه البناية يلتقي صديق من أحد الأصدقاء الّذين التقى بهم في الفلبين، يصير هذا الصّديق همزة وصل، بينه وبين الآخرين، ثمّ يلتقيهم وكلّه شوق، و فرح، لكنّهم يقولون له غير مصدّقين وجوده :"نسينا أمرك ما إن تركناك" بعدها تجرى الانتخابات في الكويت، وتكون من بين المترشحين عمّته هند فيبوح بالسّرّ المحظور عنه الإفضاء به؛ إلى أيّ أحدّ، وخصوصا وأنّه كان من بين أصدقائه جابر ابن تلك الجارة الثّرثارة، والّذي كان سبب مأساته، ورحيله، من الكويت إلى الأبد لأنّها نقلت الخبر للكلّ، ومن ثمّ إلى عمّته نورية، الّتي تكرهه، وتخاف على مكانتها بين النّاس وبين أهل زوجها، فقد قامت بإيقاف والدتها غنيمة، وأختها هند، عن صرف راتبه الشّهري وذهبت وفصلته من العمل، بحكم سلطتها العائلية، ما جعله يترك شقّته لينتقل للعيش في شقّة إبراهيم الصّغيرة ثم إلى الفلبين عائدا يجر أذيال الخيبة والهزيمة.

نبذة عن نبتة ســـــاق البامـــبو:

نبات البامبو أو الخيزران أو شجرة الحظ كما يطلق عليها البعض ما هي إلا نوع من الأشجار يعيش في الماء، والّتي تنمو في الغالب في المناطق الاستوائية وفي معظم بلدان العالم عدا دول أوروبا والمناطق القطبية، وتعتبر نبتة البامبو من أكثر النّباتات سرعة في النّمو. ولشجرة البامبو حوالي (5000) نوع، ويصل معظمها إلى ارتفاعات عالية. وتكون ساق البامبو جوفاء وكما يوجد ما يسمّى بالمفاصل والعقد (...) فنبات البامبو لا يجب أن يتعرّض لضوء الشّمس المباشر يجب أن ينمو في أماكن الظّل[1].

---

(1) كيفية الاعتناء بنبات البامبو mawdoo3.com

سيـــــرة الكاتـــب:

سعود السنعوسي مواليد 1981م كاتب روائي كويتي عضو رابطة الأدباء في الكويت وجمعية الصّحفيين الكويتيين. فاز عام 2013 بالجائزة العالمية للرّواية العربيّة في دورتها السّادسة عن روايته ساق البامبو الّتي نالت جائزة الدّولة التّشجيعيّة في دولة الكويت عام 2012 وهي رواية تتناول موضوع العمالة الأجنبية في دول الخليج. وقد اختيرت من بين 133 رواية مقدّمة لنيل الجائزة. ويكتب السنعوسي في جريدة القبس الكويتية. وقد سبق أن نشر قصّة البونساي والرّجل العجوز الّتي حصلت على المركز الأول في مسابقة القصص القصيرة الّتي تجريها مجلة العربيّالكويتية بالتّعاون مع بي بي سي العربية. أصدر روايته الأولى سجين المرايا عام 2010م وقد فازت بجائزة ليلى عثمان لإبداع الشّباب في القصّة والرّواية في دورتها الرّابعة فئران أمي حصة 2015م[1].

---

(1) ar.m.wiki pedia.org

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1- ساق البامبو، سعود السنعوسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 2012.

ثانيا: المراجع

2- الأدب اليوناني القديم: س. م. باورا، تر: محمد علي زيد وأحمد سلامة محمد، مراجعة: محمد صقر خفاجة، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د.ت).

3- بناء الرواية، دراسة في ثلاثية نجيب محفوظ: سيزا قاسم، وزارة الثقافة، (د. ط)، القاهرة، مصر، 1978.

4- بنية الزمن في رواية شرفات في بحر الشمال لواسيني الأعرج: نصيرة زوزو، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

5- البنية السردية في رواية خطوات في الاتجاه الآخر لحفناوي زاغز: بدري ربيعة، ماجستير، قسم الآداب واللّغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015.

6- بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية): حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1990.

7- بنية المكان في الرواية الجزائرية، عبد الجليل مرتاض أنموذجا: إسماعيل زغودة، دكتوراه، محمد عباس، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2014.

8- بنية النص السردي من منظر النقد الأدبي: حميد حمداني، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1991.

9- البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله: أحمد مرشد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2005.

10- تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم: محمد بوعزة، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط 1، 2010.

11- تشريح النقد محاولات أربع: نورثرب فراي، تر: محمد عصفور، منشورات الجامعة الأردنية، (د. ط)، القاهرة، مصر، (د. ت).

12- شعرية الخطاب السردي: محمد عزّام، منشورات اتّحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، (د. ط)، 2005م.

13- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: محمد محمد ناصر، دار الحديث، القاهرة، مصر، مج 1، 2009م.

14- الفضاء في الرواية العربية الجديدة، مخلوفات الأشواق الطائرة لإدوار خراط أنموذجا: حورية الظل، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، (د. ط)، دمشق، سورية، 2011.

15- فن الشعر: أرسطو، تر وتع: إبراهيم حمادة، دار هلا للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، مصر، 2014.

16- القاموس المحيط: الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، تح: أنس محمد الشافعي زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، مج 1، 2008.

17- قضايا معاصرة في الأدب والنقد: محمد غنيمي هلال، دار نهضة للطبع والنشر، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د. ت).

18- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت)، ج6.

19- المأساة والرؤية المأساوية في المسرح العربي الحديث: عبد الواحد بن ياسر، منشورات ضفاف، دار الأمان، الرباط، المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط 1، 2013.

20- المأساوي في الأدب العالمي (المصطلح-الحاصل-الأشكال): محمد الأمين بحري، مجلة الآداب واللغات، جامعة الجزائر، العدد 4، 2010.

21- معجم المصطلحات الأدبية: إبراهيم فتحي، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، ط 1، صفاقس، تونس، 1986.

22- معجم مصطلحات نقد الرواية: لطيف زيتوني، دار النهار، ط1، لبنان، بيروت، 2002.

23- مفاهيم سردية: تيزفيطان تودوروف، تر: عبد الرحمن مزيان، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2005.

24- موسوعة المصطلح النقدي، عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1983.

25- الموقف الأدبي: محمد غنيمي هلال، دار العودة، (د. ط)، بيروت، لبنان.

26- النقد الأدبي عند الإغريق والرومان: عبد المعطي الشعراوي، مكتبة الأنجلو المصرية، (د. ط)، القاهرة، مصر، 1999.

ثالثا: المواقع الإلكترونية:

27- كيفية الاعتناء بنبات البامبو mawdoo3.com

28- ar.m.wiki pedia.org

الـفـهـــــرس

مقدّمة..... أ-ج

المدخل: في ماهية المأساوي والمأساة.....5-25

1- مفهـوم المـأساة.....05

2- أصـل المـأسـاة.....08

3- مفهوم المأساوي.....10

4- المصطلحات الدّرامية المساعدة في تأسيس كيان المأساوي.....11

أ- المــفــارقـــــة.....11

ب- الموقف المأساوي.....13

ج- الــتّــطــهــيــر.....15

5- المأسـاوي والحامــل الفلسفــي.....17

أ- القـــــدر.....17

ب- المأســـاوي.....18

6- الشّـخصيـــة المأســاويــة.....20

أ- الشّخصية.....20

ب- البطل الرّوائي.....23

ج- البطل المأساوي.....24

الفصل الأوّل: تجلّيات البطل المأساوي في ساق البامبو.....27-67

I- ماهية البطل المأساوي.....27

1- اسمـــــــــــه.....27

2- ديـــنـــــه.....28

3- وطـنـــــه.....30

II- أسباب المأساة عند البطل.....33

1- حرمانه من والدته.....33

2- معاناة عيسى في الفلبين.....34

3- رحلة الشّقاء مع العمل.....35

III- بوادر الأمل عند البطل:.....39

1- الوعد المنتظر.....39

2- خفوت الأمل عند عيسى.....40

3- عودة الأمل من جديد.....41

4- العودة إلى الفردوس المفقود.....42

IV- أسباب المعاناة عند البطل:.....45

1- الخوف من المصير المجهول.....45

2- شكل وجهه.....46

3- الظّلم والشّعور باللاجدوى.....59

4- صدمته في الكويت ورحيله منها.....62

الفصل الثّاني: الزّمن، المكان المأساوي والبواعث المأساوية.....69-103

I- الزّمن المأساوي.....69

1- مفهومـــــه.....69

2- ميلاد البطل.....71

3- وفاة والـــده.....74

4- طـــــــرده.....77

II- في ماهية المكان.....80

1- مفهومـــــــه.....80

2- مكان مأساة البطل.....82

أ- في الفلبيـــن.....82

ب- في الكويت.....87

III- البواعث المأساوية.....95

1- الزّواج العرّفي.....95

2- الطّبقيـــة.....97

3- التّطيّـــر.....100

الخاتمـــــــة.....105

الملحـــــــق.....107

قائمة المصادر و المراجع 112

الفهـــــــرس.....117

الملخص:

تدور رواية ساق البامبو لسعود السنعوسي حول الأحداث المأساويّة التي تعاني منها الفئة الفقيرة من استغلال الطبقة الغنية في الدول العربية عموما، وفي دول الخليج على وجه الخصوص والتي همها الوحيد المحافظة على مكانتها الاجتماعية بين النّاس فحسب،بغض النظر عن حقوق باقي البشر والّتي تتمثل في إقامة علاقات غير شرعية معهم وإنجاب أولاد منهم وعدم الاعتراف بهم ورميهم بعيدا خوفا إذا ما اكتشف الأمر بين الأوساط الاجتماعية تهتز صورتهم،هذا ما أراد بثه الكاتب سعود السنعوسي في روايته ولكن بحكم جنسيته الكويتية،طبعا أحاط علاقة الخادمة الفلبينيّة جوزافين وراشد الطاروف بغلاف يدعى الزواج العرفي الّذي أثمر عن ولد ذو ملامح فلبينية بحتة كانت مأساته عظيمة وتجسدت هذه المأساة في الاسم :خوسيه/هوزيه/جوزيه/عيسى .الدين:المسيحية/البوذية/الإسلام.الوطن :الكويت/ الفلبين.الأم: آيدا/جوزافين.

Summary:

The novel of the « bambooleg » of Saud al-Sanusi revolvesaround the suffer of the poor class whichgetsexploited by the rich class in the Arab countries generally and in the Gulf countries in particular, whose sole concernis to preservetheir social situation among the people, regardless of the rights of the rest people whichincludesmakingillegalsexual relations withthem and the procreation of childrenfromthem and denythem and throwthemaway, fear of theirdiscovered by the society, thisiswhat the writerSaud al-Sanousitried to treat in hisnovel, but by virtue of hisKuwaitinationality, hetried to cover the sin relationshipbetween the Filipino maidJosephine and Rashid Taroufunder a covercalled the Customarymarriage, whichresulted in a childwithpurely Filipino features, the cihldfaced a greattragedywasembodied in the name: Jose / Jose / Jose / Isa. Religion: Christianity / Buddhism / Islam. Country: Kuwait / Philippines. Mother: Ida / Josephine.